تيفراز

معالم الريف

E-mail : tifrazrif@hotmail.com

أسبوعية جامعة مستقلة تصدر يومه فاتح من الشهر

مدير النشر : حسن الجرموني | رئيس التحرير : سعيد الغزواني | إ.ق : 0013 – 2003 | م.ص : 2003 – 1 | ردمد: 6362 – 1114 | العدد الثامن – دجنبر 2003 | الثمن : 3 دراهم



كتاب ومبدعون مغاربة يتذكرون الراحل محمد شكري :

أهو زمن الأخطاء أم زمن البهاء ؟

فيضانات إقليم الحسيمة الأخيرة

أو

الريف : الهشاشة الإيكولوجية ولعنة السياسة وأسطورة التنمية

فكر وتاريخ :	LINGUISTIQUE	OPINION
محمد عبد الكريم الخطابي : علامات في مسار الفكر الوطني المغربي	Les fonctionnels en Tarifite	l'influence des notables sur les partis de gauche

رأي

نجوم لم تسطع

زارتنا قناة "الدوزيم" والتفتت إلينا، ووعدتنا بتقديم برنامج عن الأغنية الريفية التي وشمت ذاكرة الآذان الموسيقية المغربية بروائع لن تنساها، فقلنا: "زارتنا لبركة!". .فرحنا أكثر حين علمنا أن عرض البرنامج سيكون في شهر رمضان، الشهر الوحيد الذي نشاهد فيه التلفزة المغربية.

"نجوم من الريف" (هكذا سُمّيتْ) أعادت بنا الذاكرة إلى "نجوم ونجوم"، وتساءلنا: كيف هو شكل النجومية التي توزعها وتمتعنا بها؟ وماهي المعايير التي يتم بها اختيار هذه النجوم؟ ومن هم الأشخاص الذين تم الاتصال بهم ليعرفوهم بنجومنا ومن سيشرفنا "ويحمر لينا لوجه"؟

هل هي التفاتة صادقة وحقيقية للتعريف بأغنيتنا الريفية التي رفعت من شأننا حيثما حلّتْ، والتي يُنْظرُ إليها بكل احترام وتقدير ؟ أم هي مجرد "تعْميرة" لإلصاق أكبر عدد من المشاهدين على الكراسي أمام الشاشة؟!

نجوم وُرطتْ وقُدمتْ لنا كنجوم، وفاجأت حتى الذين لا يمتون بصلة للموسيقى فاحتجوا قائلين: إن لنا آذانا تربتْ على أحلى التجارب الموسيقية وأروعها فأغْنتْ التراث الموسيقي المحلي والإنساني بتحف لم تكن لتولد لو لم تولد هنا بالريف.. تجارب عشناها بنشوة مع تواتون، إيثري، ثيذرين، ميمون الوليد، قوسميت، إيثران، إيريزام، علال، خالد إيزري... واللائحة طويلة جدا ومتأصلة في الذاكرة الريفية منذ فجر التاريخ.

تمنينا لو أن ضيوفنا -وهم أصلا في بيتهم- تجَولوا بهوامش المدينة وشواطئها ليطربوا آذانهم بنجوم لا يحبون الظهور من أجل الظهور، وإنما الموسيقى عندهم طقس وإدمان. تمنينا أيضا لو أنهم سجلوا البرنامج بمكان غير الذي أقاموا به مدة إعداد البرنامج، ووضعوا أطرهم ومهندسيهم في مجال الهندسة الصوتية والديكور وأصحاب التجربة في الميدان الموسيقي ليُجنّبوا نجومنا منزلقات كان من الممكن تجاوزُها لو أنهم فعلا جاءوا لخدمة الموسيقى الريفية والإعلاء من شأنها العالي أصلا و التعريف بها.

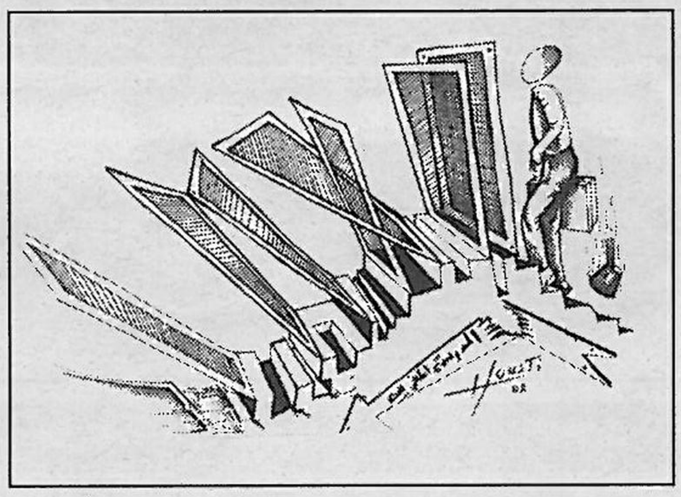
تم عرض البرنامج عبر أربع حلقات، و كنا نأمل لكل حلقة أن تَغْفر ذنوب الحلقة التي سبقتها ، لكنها علقت بالذنب حتى النخاع... قُدمتْ لنا وجوه لم نشاهدها ولم نعرفها قبل ظهورها على الشاشة، ووجوه أخرى ألفناها وأحببناها لكنها خذلتنا بما قَدمتْ فَانطفأ بعض ما تبقى من بريقها. وإلى جانب هذين الصنفين ذُرتْ عيونُنا برماد نجوم مروا عليها مرور الكرام فجرحْنا أكثر لأنها كانت الوحيدة التي ستنقذ ماء الوجه.

انتهى البرنامج ونحن لا زلنا ننتظر نجومنا التي تستحق حقا أن تسمى بالنجوم، ولازلنا نأمل أن يرفع الحصار عنها لتُشرفنا، أما إذا كان ما تم عرضه مجرد تقديم للمواهب الكثيرة التي يزخر بها الريف، فإننا نقول لكم وبكل روح رياضية: شكرا جزيلا على التفاتتكم واهتمامكم بنا، و "لنجومنا" نقول: "بالصحة "النجومية!"، وإلى اللقاء في الحلقة القادمة مع نجوم ستسطع...

■ فريد الحمدوي

الحسيمة

تقرير عن المعاملة التعسفية والوضعية المزرية لتلميذات "القسم الداخلي"



توصلت جريدتنا بتقرير مفصل عن الوضعية التي باتت تئن تحت وطأتها تلميذات "القسم الداخلي" التابع لإعدادية الجديدة بالحسيمة. وهي وضعية أقل ما يمكن أن يقال عنها أنها مزرية ولا تمت بصلة إلى شروط التربية الحديثة التي تساعد ناشئتنا على استثمار واستغلال طاقاتها الفكرية والإبداعية في ضمان مستقبلها التعليمي واندماجها ونجاحها في المجتمع.

التقرير عبارة عن معاينة دقيقة لتفاصيل السير العام لهذه المؤسسة "القسم الداخلي" بشكل يومي. حيث يتعرض في ديباجته لنوعية الوجبات المقدمة في هذا القسم، فبالإضافة إلى الهزالة والرداءة التي تميز هذه الوجبات، يشير التقرير إلى انعدام الشروط الصحية المفترضة...فالفواكه مثلا يتم تقديمها من دون غسل، وتعلق إحدى التلميذات بخصوص هذا الأمر قائلة: "إنهم يعتبروننا مجرد قرويات غير متحضرات...لذلك فكل ما يقدم لنا يعد صالحا بالنسبة لهم". أما تلميذة أخرى فتقول: "إنهم يعتقدون أنهم يتصدقون علينا...".

ويمكن رصد بعض أهم المشاكل التي تطرق لها التقرير في النقاط التالية:

- انعدام قاعة للمطالعة، حيث أننا نضطر للكتابة والمراجعة على السرير، ناهيك عن الفوضى وعدم الانضباط أثناء ساعة المطالعة بسب إهمال المسؤولين.
- انعدام الماء الساخن، حيث نضطر إلى التوضؤ بالماء البارد، الأمر الذي يجعل أداء الصلاة متعذرا لدى عدد من التلميذات بسبب الأمراض التي يصبن بها جراء التوضؤ بالماء البارد(خاصة في الشهور الشتوية).
- ندرة عدد المراحيض(لكل 100تلميذة4مراحيض، ولنتصور الوضعية في حالة إصابتنا بإسهال جماعي...؟).
- الاضطرار على البقاء خارج القسم الداخلي خلال أوقات الفراغ لأن باب الداخلي لايفتح إلا عند انتهاء أوقات الدوام المدرسي، لاسيما عند نزول المطر أو في أيام القيض.

وفي الأخير يتعرض التقرير للمعاملة اللاتربوية التي تلاقيها التلميذات من قبل الساهرين على هذه المؤسسة النبيلة والمحترمة، حيث تشتكي أغلبية التلميذات من الإهمال الذي يميز المسؤول الأول عن "القسم"، تقول إحدى التلميذات بأنه لم تره ،خلال هذه السنة بالقسم، سوى مرة واحدة... فهو غائب "على طول". أما السيدة المسؤولة الثانية في هرم هذه المؤسسة فيصفها التقرير بكونها ليس بينها وبين التربية إلا الخير والإحسان، فهي جد متصلبة ومتعنتة وغير حريصة تماما على مصالحنا الحقيقية...بحيث لا يهمها سوى كتابة تقارير ببعض التلميذات اللواتي تعتبرهن"غير مربيات"في نظرها بسبب استماتتهن في الدفاع عن بعض حقوقهن.

ومن جهتنا، نلتمس من المعنيين والقائمين على هذا القطاع الشريف الذي تنتمي إليه المؤسسة المذكورة، إيفاد لجنة تفتيش خاصة قصد الوقوف على التجاوزات التي تعرفها ومعاقبة المقصرين في حالة ثبوت ذلك، والعمل على تقويمها وإصلاحها...لما في ذلك من مصلحة لمستقبل ناشئتنا وشعبنا ووطننا.

المعهد الإسباني بالحسيمة ينظم:

عملية "يوم الكيلو" أو تربية الناشئة على ضرورة الإحساس بالآخرين - المحتاجين

بمناسبة شهر رمضان المعظم، نظم المعهد الإسباني "إلشور خوبيانوس" بالحسيمة، يوما ثقافيا وتربويا فريدا من نوعه، لم يسبق أن عايناه بفضاءات مؤسساتنا التعليمية قط. ذلك أن الساهرين على هذه المؤسسة الأجنبية قاموا بتوجيه دعوة لكل الأساتذة والتلاميذ، المنتسبين للمعهد، قصد المساهمة بكيلو غرام واحد، على الأقل، من المواد الغذائية لأجل التبرع بها لفائدة المحتاجين من سكان مدينة الحسيمة. وقد سهرت على توزيع هذه المواد، في حفل أقيم بالمناسبة، الأخوات الراهبات اللواتي عرفن، عند أهل وسكان مدينة الحسيمة، برحمتهن وعطفهن على الأطفال المتخلى عنهم و الفقراء والمحتاجين وبأعمالهن الخيرية والإنسانية الكبيرة. كما كان للهلال الأحمر المغربي بالحسيمة مساهمة مهمة أيضا. وقد أطلق المشرفون، في المعهد المذكور، على هذه الالتفاتة المباركة إسم "عملية يوم الكيلو"، وهي عملية تكتسي أكثر من دلالة في الواقع، لاسيما وأنها تتضمن رسالة تربوية وإنسانية وأضحة في تحسيس الناشئة بضرورة الالتفات للآخرين/ المحتاجين والإنصات لنبضات أوجاعهم التي قلما يلتفت أحد إليها اليوم. ومن جهة أخرى، يمكن أن نقرأ في الرسالة أيضا روح التسامح والمودة واحترام دين وثقافة الآخرين ما دامت قد تمت في شهر رمضان بالأخص. لاشك أننا نرغب جميعا في ترسيخ مثل هذه العمليات بمؤسساتنا المحلية... ولكن..؟



جمعية مستعملي المياه المخصصة للأغراض الزراعية بمنطقة بجبرون بوادي غيس

تخبر جمعية مستعملي المياه المخصصة للأغراض الزراعية بمنطقة بجبرون بواد غيس (إقليم الحسيمة) جميع المسؤولين أن الأحواض المزروعة على ضفتي نهر واد غيس بحوزة سيدي عيسى قد تضررت بشكل لم تعرفه المنطقة منذ ما يفوق ثمانين سنة و قد أدت إلى إتلاف جميع المحاصيل الزراعية الموجودة و اقتلاع الأشجار و تغيير جذري لطبوغرافية هذه الأحواض . وبناء على ذلك تقدمنا بعدة طلبات للمساعدة إلى الجهات المعنية مرفوقة بلائحة موقعة من طرف 200 فلاح متضرر بنفس المنطقة السالفة الذكر. رجاؤنا هو تقديم المساعدات بشكل مستعجل إلى هؤلاء المتضررين و إحداث سياج من الشباك الحديدية و الحجارة على جوانب هذه الأحواض لتفادي هذه الخسائر التي دمرت نفسية و مورد رزق هؤلاء الفلاحين .

تارجيست

أزيد من 600 مواطن يحتجون على انقطاع التيار الكهربائي

على إثر الا نقطاعات الكهربائية المستمرة والمتكررة التي عرفتها وتعرفها مدينة ترجيست ونواحيها التي تؤدي إلى تعطيل مصالح المواطنين الإدارية والإقتصادية وصلت إلى حد انقطاع الخبز والماء من المدينة لمدة أربعة أيام متتالية، نظمت الهيئات السياسية والنقابية والجمعوية والفعاليات المحلية وقفة احتجاجية سلمية بساحة للا أمينة، أمام المكتب الوطني للكهرباء بتارجيست، يوم الخميس 11دجنبر 2003 من الساعة الثانية عشرة إلى غاية الواحدة والنصف زوالا، حضرها أزيد من 600 محتج. وقد أصدرت الهيئات المذكورة بيانا إلى الرأي العام المحلي والوطني، من ضمن ما جاء فيه:

- استنكارنا واحتجاجنا على الانقطاعات التي يعرفها التيار الكهربائي.
- مطالبتنا بإيجاد حلول استعجالية وحقيقية لهذا المشكل.
- مطالبتنا بفتح تحقيق نزيه ومستقل حول هذه الانقطاعات وعرض نتائجه على الرأي العام المحلي والوطني.
- إعلام المواطنين عن أي انقطاع يكون المكتب على علم مسبق به.
- مطالبتنا بتزويد المكتب وباقي المرافق العمومية بالأطر الكافية من حيث العدد والنوع لتحسين خدماتها عوض استنزافها وترحيل العاملين بها(حالة تعرفها أغلب المرافق العمومية بمدينة ترجيست).
- مطالبتنا بتعويض المتضررين من السكان والمصالح نتيجة تلك الانقطاعات.
- رفع الحصار المضروب عن المدينة والعمل على تزويدها بكل المقومات الضرورية لخلق تنمية حقيقية بالمدينة.
- إدانتنا للمؤامرة التي تهدف إلى إفراغ المدينة من سكانها.
- إدانتنا لكل سياسة تهدف إلى تصفية وخوصصة القطاعات العمومية.
- استعدادنا لخوض كل الأشكال التضالية دفاعا عن مصلح سكان مدينة تارجيست.

الهيئات السياسية والنقابية والجمعوية والفعاليات المحلية بتارجيست

تيفراز : جريدتكم .. كاتبوها.. ساندوها

تيفراز
معالم الريف

□ مدير النشر:
حسن الجرموني

□ رئيس التحرير:
سعيد الغزواني

□ هيئة التحرير:
عبد المنعم الأزرق -جمال الحدالي
الحسن أسويق-عبد القادر السكاكي

□ المتعاونون:
محمد بوطسغونت - محمد الداودي - فريد الحمدوي - رشيد الموساوي - أحمد الشيخي - حكيم مسعودي

رقم الإيداع القانوني: 2003/0013
ملف الصحافة: 03-1
عنوان المراسلة:
شارع المرابطين رقم 22 - الحسيمة
الهاتف: 039982250
الفاكس: 039980584

رقم الحساب
البنكي:211115360129001 7
البنك الشعبي - وكالة محمد الخامس - الحسيمة
التصفيف والإخراج
RPO-SCAN
السحب: الطباعة المغربية السعودية
التوزيع: سوشبريس

■ أنشطة جمعوية

جمعية قدماء ثانوية مولاي علي الشريف (الحسيمة)

في إطار أنشطتها الثقافية التربوية التي دأبت جمعية قدماء ثانوية مولاي علي الشريف بالحسيمة على تنظيمها، نظمت يوم: 11 نوفمبر 2003 بقاعة العروض التابعة لدار الشباب بالحسيمة عرضا في موضوع "حرب الغازات السامة في الريف" ألقاه الأستاذ عمر المعلم الكاتب العام لجمعية الدفاع عن ضحايا حرب الغازات السامة بالريف تناول من خلاله المحاور التالية:

1. معطيات عامة عن السلاح الكيماوي واستعمالاته عبر التاريخ.
2. دواعي لجوء الجيوش الاستعمارية إلى استعمال الغازات السامة بالريف.
3. أنواع القنابل التي استعملت بالريف وبعض المواقع التي استهدفت.
4. تأثيرات الغازات السامة على البيئة والإنسان.
5. العلاقة بين استعمال الغازات السامة ومرض السرطان المنتشر بالريف.

بعدها أعطيت الكلمة لمتدخلين، من الحضور، حاول كل واحد منهم إغناء العرض بطرح عدد من الأسئلة والملاحظات المرتبطة بالموضوع.

واختتم العرض بتأكيد الجميع على مطالبة المجتمع المدني بإيلاء أهمية قصوى لهذا الموضوع وكذا محاسبة كل من كانت له يدا في هذه الحرب القذرة (خصوصا إسبانيا) بتقديم الاعتذار ودفع تعويضات لفائدة سكان المنطقة.

عن **المكتب المسير: نور الدين لمعلم**

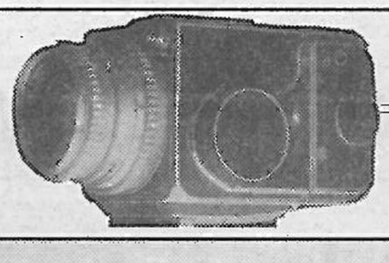
احتفاء باليوم العالمي للمعاقين:

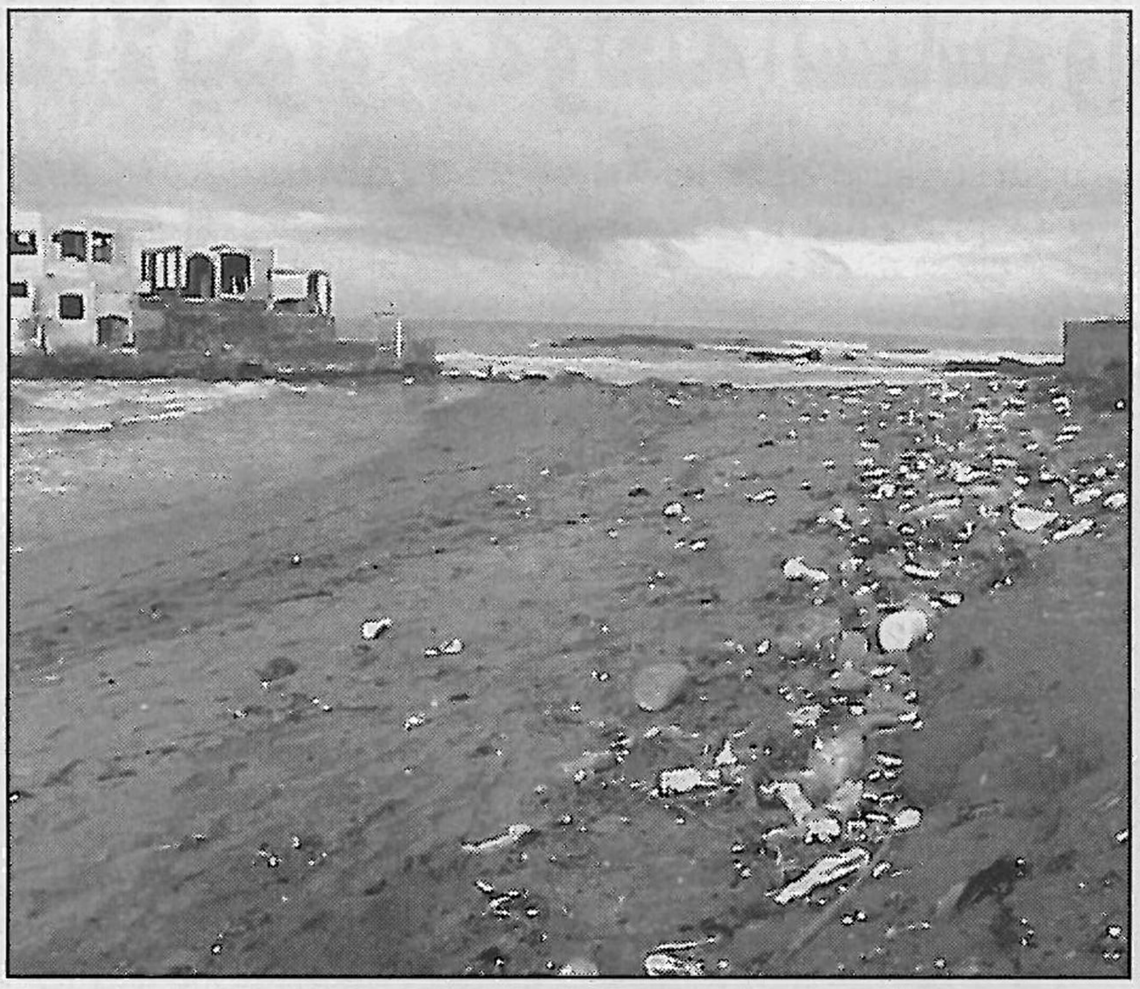
تكريم بعض الوجوه الفنية

تحت شعار: "يدا في يد" وبمناسبة اليوم العالمي للمعاقين وتكريما لبعض الوجوه الفنية بالإقليم، تنظم جمعيات: قدماء تلاميذ ثانوية مولاي علي الشريف، وجمعية تويا للعمل النسائي، وجمعية الخزامى لساكنة الحي الإداري (المتواجدة بالحسيمة) أنشطة ثقافية يومي:

- الأحد 14 دجنبر 2003 أمسية غنائية وشعرية.
- السبت 20 دجنبر 2003 ندوة في موضوع الإعاقة.

عين قيفراز





أريحوا بحرنا قليلا من...

قد تفرض علينا الأخلاق نوعا من الخجل في إتمام الجملة أعلاه... لكن، ولسوء الحظ ربما، هذه الأخلاق التي نتحدث عنها كثيرا -حد الإسهال- لا نجسدها في الواقع إلا لماما. بل إننا لا نبالغ في شيء إذا ما قلنا بأنه لا أخلاق لنا، ذلك لأن العقول التي لا تفهم بأن إلقاء أزبالها بهذا البحر الأبيض الذي هو عبارة عن صحراء جرداء أصلا (على حد قول عالم البحار كوستو) هي بالضرورة لا تحترم نفسها ولا ناسها ولا برها ولا بحرها... وبالتالي لا أخلاق لها...!

مركز الدراسات التعاونية للتنمية المحلية:

تعزيز الخدمات الصحية للإقليم بعيادة متنقلة متعددة الأطراف

دشن مركز الدراسات التعاونية للتنمية المحلية (CECODEL) عمله بإقليم الحسيمة باستقبال عيادة متنقلة متعددة الأطراف يومي 5 و 6/12/2003، تشكل العيادة المتنقلة بالإضافة إلى تجهيزات طبية جد متطورة تعزز بها قسم الإنعاش بمستشفى محمد الخامس بالحسيمة، الشطر الأول ضمن برنامج مركز الدراسات التعاونية للتنمية المحلية من أجل دعم الخدمات الصحية بإقليم الناضور والحسيمة وتدارك جزء من الخصاص المسجل على مستوى البنيات الصحية بالإقليمين، ويضمن بالإضافة إلى العيادة المشار إليها اقتناء سيارات إسعاف متطورة وتجهيز المراكز الصحية القروية و تكوين الأطر الطبية بشراكة مع وزارة الصحة العمومية وبتعاون مع المنظمة الأسبانية "مجلس التعاون من أجل السلم".

تضمن العيادة المتنقلة من خلال تجهيزاتها الدقيقة خدمات وقائية وعلاجية متخصصة ومرتبطة بالدرجة الأولى بصحة الأم والطفل وتوفر خدمات مرتبطة بأمراض النساء (الحمل-الوقاية-الوضع) بالإضافة إلى الأجهزة المرتبطة بمعالجة أمراض النساء و الأطفال. تحتوي هذه الوحدة على أجهزة للكشف عن أمراض القلب مع نظام معلوماتي للتشخيص الأوتوماتيكي.

إن هذا البرنامج الطموح الذي يسهر على إنجازه مركز الدراسات التعاونية للتنمية المحلية، سيتم دعمه وبلورته في إطار شراكة متعددة الأطراف هي:

- وزارة الصحة: تقوم بتوفير التأطير الطبي بالإضافة إلى توفير نسبة من الأدوية ..
- جمعية الأطباء والصيادلة وجراحي الأسنان بالحسيمة: تضع رهن إشارة البرنامج أطرا طبية متطوعة لمصاحبة الوحدة المتنقلة، حسب برنامج وجدول زمني يحدد فيما بعد، كما تقوم بدعم البرنامج بكميات من الأدوية.
- الجماعات المحلية المستفيدة: تقوم بتوفير الوقود الضروري لتنقل الوحدة.
- المجلس الإقليمي: يضع رهن إشارة المشروع سائقا للوحدة المتنقلة، كما يضمن صيانة هذه الوحدة.

محمد أزرقان

اقتراح المعطلين لأداء الخدمة العسكرية

أسلوب جديد ابتدعه قائد الباشوية لإطفاء شعلة المطالبين بالشغل

عرف إقليم الحسيمة في السنوات الأخيرة حملات واسعة النطاق بدعوة أبناء المنطقة لأداء الخدمة العسكرية. خلال هذه السنة وصل عدد المدعوين للتجنيد بآيت بوعياش فقط ما يناهز 80 شخصا.

وقد مس هذا الإجراء فئة عريضة من المعطلين حاملي الشهادات، وفي هذا السياق يقول أحدهم أن قائد الباشوية يستهدف جمعيتهم ويسعى بكل ما أوتي لإضعاف شوكتها وإسكات صوتها المطالب بحق أقره أسمى قانون بالبلاد.

ويضيف آخر أنه لم يسمع يوما عن أبناء ممثلي السلطة وأعوانها وذوي الإمتيازات أن خضعوا لنظام الجندية؟ بينما يتم التركيز على فئات بعينها. ويتساءل أحدهم:

هل المطالبة بالحق في الشغل والكرامة يلازمه أداء لواجب الجندية؟

فهاجس البحث عن الشغل لدى خريجي الجامعات والمعاهد أصبح الآن متجاوزا بعد ابتكار صيغة فعالة تقضي بالانصياع لمزاج قائد الباشوية الذي يجسد المفهوم الجديد للسلطة وذلك باعتماده على مقاربة جديدة لحل معضلة البطالة التي عجزت عنها كل الدوائر الرسمية الأخرى.

آيث بوعياش

إعلان هام:

ممنوع الولادة يوم العيد

أغلق مركز الولادة بآيت بوعياش لمدة يومين متتاليين وذلك بعد أن غادرت المولدات مقر عملهن بمناسبة عيد الفطر المبارك، مما اظطرت النساء اللائي قدمن إلى المركز المذكور إلى التوجه نحو مدينة الحسيمة لوضع مواليدهن، لتنضاف تكاليف التنقل والتطبيب إلى ما قاساه المواطنون جراء الفيضانات التي اجتاحت المنطقة.

إن ما حدث خلف استياء عميقا للذين زاروا المركز وينذر بتراجع الخدمة العمومية بهذا المرفق الصحي الحيوي.

ويتساءل أحد المتضررين من هذا الغياب للمولدات عن سر إلغاء المداومة التي كانت قائمة وبشكل متواصل في الأيام السابقة.

فعلى القائمين على القطاع الصحي بالإقليم أن يتداركوا مثل هذه التعثرات التي تحدث بين الحين والآخر ويعملوا على الرفع من مستوى الخدمات الصحية بالمركز المذكور حتى لا يتحول إلى بناية تغلق وتفتح وفق إرادة الساهرين على هذا القطاع محليا.

محمد بوطسغونت

جمعية أزير لحماية البيئة:

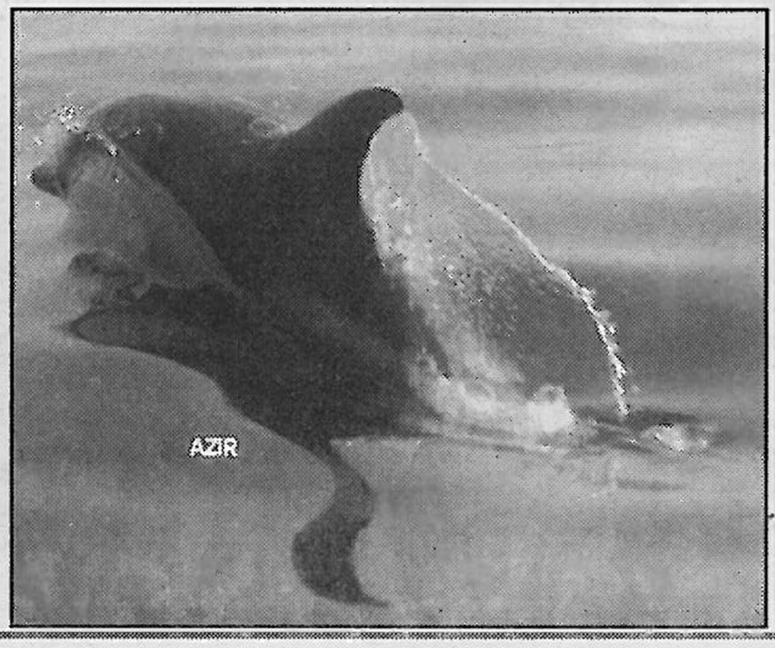
اللجنة الدولية للمحافظة على سمك الطون الأطلنتيكي تقضي بالمنع الشامل للصيد بالشباك العائمة في البحر الأبيض المتوسط

تلقت الجمعية المغربية أزير لحماية البيئة بتفاؤل نبأ القرار الصادر عن اللجنة الدولية للمحافظة على سمك التون الأطلنتيكي ICCAT، الذي يمنع من الآن فصاعدا الدول الأعضاء و من ضمنها المغرب ، استعمال الشباك العائمة في البحر الأبيض المتوسط ،إنه فوز كبير لجميع من ناضل منذ سنين عديدة من أجل تحقيق هدا القرار" وعلى سبيل المثال منظمة السلام الأخضر التي كانت هي السباقة في طرح مشكل الشباك العائمة وتأثيرها على التنوع البيولوجي".

تبنت لجنة ICCAT هذه التوصية ابتداء من " الاثنين " 24/11/2003 خلال اجتماعها العادي الثامن عشر ، بمدينة دوبلين الإيرلاندية.

يعتبر هذا القرار ملزما لجميع الدول الأعضاء في اللجنة منذ الآن. إنه أهم قرار على المستوى القانون الدولي اتخد لحماية التنوع البيولوجي بالبحر الأبيض المتوسط. حيث لا تزال الشباك العائمة تقضي على آلاف الدلافين _ و أصناف أخرى مهددة بالانقراض- سنويا. رغم الحظر الصادر عن الإتحاد الأوروبي في يناير، 2002 في حق الدول الأعضاء، وعلى نطاق أوسع توصيات الأمم المتحدة منذ سنة 1992 في هذا الشأن.

إنه تفوق كبير، إذ تعتبر لحد الساعة القوانين السابقة الذكر غير كافية إما لكونها غير ملزمة، أو أنها سهلة التجاوز لاحتوائها على ثغرات، استغلت على سبيل المثال من طرف بعض الدول كفرنسا و إيطاليا. نجحت اللجنة الدولية ICCAT اليوم في ملء هدا الفراغ بقرارها الملزم قصد إيقاف التأثير المدمر الذي تخلفه الشباك العائمة على المنظومة البيئية بالبحر المتوسطي.



لقد اتخدت اللجنة الدولية قرارها بناء على البراهن العلمية و الإستنتاجات المقلقة المستخلصة من الدراسة التي أنجزتها منظمة الصندوق العالمي للطبيعة بتعاون مع الجمعية المغربية أزير لحماية البيئة و معهد علوم البحر CMIMA ببرشلونة و الذي يحمل عنوان :- تأثير الشباك العائمة المستعملة من طرف البواخر المغربية على التنوع البيولوجي في بحر ألبوران -

و حسب نفس الدراسة فإن الدلافين تعتبر الضحية الأولى _ الغير المستهدفة _، إذ يقدر العدد الذي يقع في هذه الشباك بما بين 3000 و 4000 دلفين سنويا، من ضمنها الدلفين العادي Dauphin Commun هذا الصنف أدرج مؤخرا ضمن اللائحة الحمراء للكائنات الحية المهددة بالانقراض (الإتحاد العالمي للمحافظة على الطبيعة) . IUCN

بالطبع لا نتفق مع منع هذه الشباك دون أيجاد حل مناسب يرضي مهنيي قطاع الصيد بالمغرب، وذلك عبر إعادة هيكلة الأسطول و تعويض مجهزي البواخر. إنه من الضروري أن يتدخل الإتحاد الأوروبي

والمؤسسات المختصة بالتعاون الدولي قصد دعم هدا القطاع الحيوي من أجل مستقبل أفضل، يضمن استغلالا مستديما للثروات البحرية ، ويحمي في نفس الوقت ، الصيد و الصيادين بالمغرب.

على هامش الفيضانات الأخيرة بإقليم الحسيمة

الريف: الهشاشة الإيكولوجية ولعنة السياسة وأسطورة التنمية

ما وقع ليلة الإثنين ونهار الثلاثاء17و18 نونبر 2003، ستحفظه ذاكرة الريفيين لزمن طويل، بكل تفاصيله الصغيرة ومشاهده المرعبة وآثاره الكابوسية وتداعياته النفسية. فالفيضانات المهولة التي شهدتها عدد من مناطق الريف الأوسط بإقليمي الحسيمة والناظور، وما خلفته من خسائر في الأرواح وأضرار بليغة في المنشآت والممتلكات العامة والخاصة، جاءت لتعمق بحصيلتها الكارثية تلك، الشعور لدى أهالي الريف بالتهميش والعزلة المتراكمين عبر عقود من الزمن نتيجة السياسة التمييزية التي نهجتها الدولة المغربية إزاء الريف على كافة المستويات الإقتصادية والاجتماعية والثقافية...إلخ، وهي السياسة التي زادت من تعميق الهشاشة بمختلف أوجه ومظاهر الحياة وأبقت على رداءة وتخلف البنيات التحتية والتجهيزات الأساسية الموروثة في أغلبها من العهد الإستعماري، فضلا عن ضعف أو انعدام وسائل وآليات مقاومة ومكافحة آثار الكوارث الطبيعية في حال وقوعها، وهو ما انكشف بالملموس أثناء الكارثة الأخيرة وقبلها الضربات الزلزالية الأولى لسنة 1994.

عبد المجيد السخيري

وإنه إذا كان ليس بإمكان الدولة في جميع الأحوال منع حدوث الكوارث، فإنه في المقابل من واجبها أولا وأخيرا توفير الوسائل والتجهيزات الضرورية لمكافحة آثارها والحد من الأضرار والخسائر التي يمكن أن تترتب عنها في حال وقوعها، وكذا وضع خطط لحالة الطوارئ عند توفر معلومات مؤكدة تشير إلى احتمال وقوع كوارث شبيهة بالفيضان في مناطق محددة، كما تفعل الدول التي تحترم نفسها وتحرص على أمن وسلامة مواطنيها ومنشآتها، والحال أن تقاعس السلطات الإقليمية بالمناطق المتضررة بالفيضانات الأخيرة على القيام بواجبها على النحو المطلوب، وفي ظل الوضعية المتدهورة للمجال الإيكولوجي وهشاشة البنى التحتية للخدمة العمومية ذات الأهمية في مثل هذه الظروف، من طرق وقناطر ومسالك وقنوات تصريف المياه وشبكات توزيع الكهرباء والماء الصالح للشرب وغيرها، ليدعو إلى الاستنكار، بما أثاره من إحساس بالغبن والمرارة لدى معظم ساكنة الريف، وما تولد عنه من يأس وإحباط جعل الكثير منهم يخال في الأمر تواطؤا بين غضب الطبيعة ولعنة السياسة هو من المكر بمكان إلى الحد الذي يبعث فيه على السخرية في كثير من الأحيان.

ألا وإن هذا التواطؤ القائم بين العوامل المساعدة التي أعدتها سياسة التهميش والتخريب التي طالت المجال والبنيات والإنسان، وبين الطارئ في نشاط الطبيعة المفترض أن يكون، في حال ظهور مؤشرات الاضطراب الجوي مثلا، بمقدور السلطات أن تعمل بحسابه، خصوصا إذا ما كان ثمة تنبيه أو تحذير صادر عن جهات موثوق في كفاءة أجهزتها على التوقع والتنبؤ، وهو ما جاءت فعلا على ذكره مصالح الأرصاد الجوية ببعض الدول الأجنبية بخصوص الاضطرابات الجوية التي توقعت أن تشهدها مناطق الريف، وكانت "سلطاتنا" على علم بها كما المواطنون أنفسهم من متتبعي القنوات التلفزية الأجنبية.

ولما كان التقاعس عن تقديم المساعدة لشخص في حالة خطر يفسر جريمة في القانون ويعاقب عنها، فإنه ينبغي في هذه الحالة أيضا أن نُعمل نفس القاعدة لمتابعة السلطات الإقليمية، بعد أن أكدت تقارير نشرتها الصحف أو أعدتها جمعيات حقوقية ومدنية عاين أعضاؤها الواقعة وسجلوا تصريحات المواطنين المتضررين، أن هذه الأخيرة قد تقاعست عن القيام بواجبها وقت وقوع الكارثة، وظلت مكتوفة الأيدي تنتظر هدوء العاصفة حريصة على هيبة أجهزتها وأمن الدولة..؟ بل وإننا نعتقد أن هذه المتابعة بات من الضروري أن تشمل اليوم السياسة التجهيزية والمجالية والخدماتية التي نهجتها الدولة المغربية على امتداد نصف قرن، الماثلة نتائجها الكارثية للعيان على كافة الأصعدة والأبنية.

إن ما خلفته الفيضانات الأخيرة من خسائر وأضرار(سيجد القارئ بعضها محصيا طي هذا الملف) لا تعني فقط سكان المناطق المتضررة من جراء الكارثة، بل إنها تخص المجتمع الريفي برمته، بجميع شرائحه وجماعاته ودواويره، وذلك على الأقل من الناحية المعنوية. فأسطورة التنمية التي تسولت بها الدولة(وبعض نخبها المرتشية) طيلة سنوات لدى الجهات والمنظمات الأجنبية قصد تحصيل المساعدات المالية، لم يظهر لها أثر حتى الآن في حياة أهل الريف، فيما تبين أن جهات وأطرافا معينة قد اغتنت من هذه "الأسطورة"، وراكمت فوائد اقتصادية ومكاسب سياسية جمة، يجدر بمجموع القوى الحية والنظيفة المتبقية بالريف أن تتعبأ جديا لمساءلة كل أولئك الذين ثبت أنهم استفادوا بطرق غير مشروعة من المشاريع الممولة للتنفيذ بمنطقة الريف بعد أن تم تحويلها إلى جهات أخرى أو جرى التلاعب بميزانياتها، وعلى رأسهم أولائك الذين اغتنوا بصفة شخصية ممن تولوا مسؤوليات على رأس المؤسسات التي تم إنشاؤها لاستهلاك خرافة التنمية.ألا وإن الحق في التنمية، الذي أضحى شعار المناطق والمجتمعات المهمشة والمقصية، لا يستقيم هنا إلا بنقض أسطورة التنمية المكذوب عليها، وكشف ملفاتها أمام الرأي العام والمواطنين.

كشف المستور

في زياراتنا المتكررة للمناطق المتضررة بدائرة بني بوفراح على الخصوص، بجماعاتها الثلاث(سنادة، بني بوفراح، وبني جميل)، حيث وقفنا على هول الكارثة، أثارنا ذهول المواطنين وهم يعاينون ويقصّون مشاهد الرعب التي عايشوها طيلة يومين، والأضرار البليغة التي لحقت بممتلكاتهم الخاصة من المنازل والحقول والأشجار والآبار، وكذا بالمنشآت العامة والبنى التحتية، وهذه المرة طالت الأرواح البشرية. وحدهم المسنون الذين تجاوزت أعمارهم العقد السادس يتذكرون حدثا مشابها قبل ستين سنة وبأقل من الخسائر والأضرار التي كتب لهم أن يشهدوها هذه المرة. أما الآخرون فلا أحد منهم توقع أن يحدث هذا، وإن كان بعضهم تَفطّن إلى أن الهشاشة الإيكولوجية التي أضحت عليها مناطقهم، نتيجة التخريب الذي طال النسيج الغابوي وتراجع أنشطة التشجير، إضافة إلى تدهور التربة بسبب ذلك، ساعدت على وقوع الكارثة وبالتالي أيضا تعظيم الأضرار والخسائر التي نتجت عنها. على أن هذه الهشاشة الإيكولوجية، التي سبق لعدد من الباحثين الجغرافيين وخبراء التربة أن نبهوا للمخاطر التي يمكن أن تنجم عنها في حال تعرض هذه المناطق لتساقطات مطرية مهمة، ما كان لها أن تبلغ هذه الدرجة من التدهور لولا تدخل العامل البشري على مستوى الاستغلال المفرط للموارد الطبيعية وانتشار أنشطة زراعية جديدة(زراعة الكيف) أتت على مساحات واسعة من المناطق الغابوية، في الوقت الذي توقفت فيه عمليات التشجير وتراجعت معه الأنشطة الزراعية الأخرى ذات الأثر الإيجابي على المجال الإيكولوجي. ولم يعد سرا أن السلطات تواطأت بشكل مكشوف مع مقترفي الجرائم البيئية عندما تساهلت مع أنشطة زراعة القنب الهندي واقتلاع الغابات والتلاعب بالملك العام، رغم الاحتجاجات والشكاوى التي توصلت بها أجهزتها المعنية في أكثر من مناسبة. هذا بصرف النظر عن مسؤولية بعض المجالس القروية في هذا الملف والاستغلال الانتخابوي لذلك من طرف بعض اللوبيات الشهيرة ذات الباع الطويل في تفويت الأراضي الجماعية لتجار المخدرات وتغطية أنشطتهم التخريبية بالقطاع الغابوي. إنه لمن السخافة إذن أن نعتقد أن الهشاشة الإيكولوجية تعمل سلبا في مثل هذه الكوارث بشكل مستقل عن السياسة في الريف. فالفيضانات ظاهرة طبيعية تضرب الكثير من مناطق العالم، ومنها مناطق شبيهة من حيث الخصائص الايكولوجية والجغرافية بمنطقة الريف، ومع ذلك فإن حجم الأضرار والخسائر نادرا ما يكون بمستوى ما تكبدته مناطقنا الريفية. وليس لذلك من تفسير سوى أن بعض الدول تأخذ في الحسبان دور السياسة الإيجابي في توفير مقومات المناعة لمجالها الطبيعي ووسائل وتجهيزات التغلب على الكوارث وخططا لمعالجة الآثار والمخلفات والتحكم في مجريات الأمور بما تؤمنه من بنيات تحتية قوية قادرة على الصمود في وجه اندفاع المياه وصدّ انجراف التربة، والبعض الآخر مثل دولتنا، سرعان ما تدفن رأسها في الرمل كما النعامة، متعللة بمحدودية الإمكانيات المالية، في بلد صار معلوما أن أقلية تستحوذ فيه على معظم الثروات، وتستنزف فيه زبانية النظام وخدامه من الوسطاء والديماغوجيين ميزانية الدولة بأجورهم الخيالية وامتيازات لاحد لها.

إن سياسة الانتقام البليدة التي انتهجها نظام الحكم إزاء الريف، بما كرسته من تهميش وعزلة وتهجير لأبنائه، مسؤولة وحدها عن ما آلت إليه الأوضاع بمجموع مناطقه من تدهور وتردي وهشاشة. ولقد آن الآوان لمحاكمة هذه السياسة على جميع الأصعدة، بما يعيد الاعتبار لكل ضحاياها من الأحياء والأموات. وإلا فإنه لايعقل أن نستمر في احتساب هذه المنطقة على دولة ذات سيادة ترابية، اللهم إذا كنا سنسمح لدولة كهذه أن تقيس سيادتها على حساب أنفاسنا ومنع أسمائنا...واللهم فاشهد أني سمعت ورأيت.







جدول يبين ضحايا الفيضانات بدائرة بني بوفراح

عدد الضحايا	جماعة بني بوفراح	جماعة بني جميل	جماعة سنادة
الوفيات (8أفراد)	×اثنان من أفراد البحرية الملكية(أحدهم لايزال في عداد المفقودين) ×مصطفى بوزيزوا(30سنة) عامل بناء.	أسرة تتشكل من: 1 -علي المنصوري (الأب) 2 -إحسان المنصوري 3-محمد المنصوري 4- أنيسة المنصوري	- محمد الدراز (25 سنة، أعزب)
عدد الجرحى (3افراد)	سمير ايوزان - عامل بناء جرفته المياه لمسافة تزيد عن 10 كلم نجا بأعجوبة وعثر عليه بعد يومين من البحث.	- نزهة...(الأم)، كسر في اليد - ابراهيم المنصوري (رضيع).	

جدول تقريبي (أولي) لحجم الخسائر المادية والأضرار التي لحقت بالبنى والتجهيزات التحتية والمرافق العامة والممتلكات الخاصة بجماعة بني بوفراح

المرافق العمومية	البنى والتجهيزات الأساسية	الممتلكات الخاصة
- المسالك: كل المسالك الجماعية متضررة بنسبة متفاوتة منها:80في المائة مقطوعة في وجه حركة المرور، و20 في المائة تصل نسبة الضرر بها إلى حوالي80في المائة - المدارس: مدرسة إذغير أصبحت في وسط الوادي . - مدرسة أيث طيب: لحقت أحد أقسامها أضرار بليغة. - انهيار جدار مدرسة الروضة. - الآبار الجماعية:13منها دمرت بالكامل كسانت تزود دواوير الجماعة بالماء الصالح للشرب.	- أضرار بليغة لحقت بالطريق الثانوية الرابطة بين بني بوفراح وتارجيست. - كل القناطر تحطمت ومغلقة وآيلة للسقوط. - النقطة الطرقية قرب إعدادية بني بوفراح شبه مقطوعة في وجه حركة المرور وتهدد السلامة الطرقية. - الكهرباء: ١١٠أعمدة كهربائية جرفتها المياه. - كل الحيطان الوقائية(الكابيون) بتراب الجماعة جرفتها المياه.	- المنازل التي غمرتها المياه بجانب الوادي الكبير: ١٥ بدوار إكادن. - ٠٩ بدوار طوريس(جميع هذه المنازل أصبحت غير صالحة للسكن ومهددة بالسقوط). - المنازل المهدمة: ٠١ - المنازل التي تضررت جدرانها كليا أو جزئيا: ٥٠ منزل. - الآبار الخاصة المستعملة للسقي: بواسطة المحركات: ٥٠، المحركات:٤٠. - الأراضي السقوية: ٩٠ هكتار تحولت إلى وادي ولم تعد صالحة. - ٢٠ هكتار تضررت بنسب متفاوتة تتطلب إصلاحات جذرية. - الأراضي البورية: حوالي ٤٠ هكتار غير صالحة. - ١٠ هكتارات : أضرار بليغة. - المحصول من مادة التين: ٢٠ فلاحا جرفت المياه محصولهم بدوار(إيبحياثن).

شهادات

شهادة الحسين اليعزوبي
(شارك في عملية إنقاذ أفراد أسر أربعة مساكن حاصرتهم مياه الوادي ببني بوفراح)

لم أقم إلا بما يمليه واجب المواطنة

بينما كنا نتسمّر أمام شاشة التلفاز نتابع نشرة أخبار، بلغنا أن منازل مأهولة بالسكان حاصرتها المياه بدوار "إكادن"...وعلى الفور اتجهنا نحو مقر القيادة لإخبارهم بما يحدث. ثم اتجهنا نحو الدوار... كانت أصوات النجدة تسمع بصعوبة نظرا لقوة اندفاع المياه. المشهد مرعب ومؤلم، خصوصا والظلام يخيم على الدوار بعدما انقطع التيار الكهربائي. في هذه الحالة اضطررنا لاستعمال الشموع و"البوطاكاز" للتمكن من الرؤية. قررنا نحن أربعة أفراد أن نشكل سلسلة بأيدينا المتشابكة، للعبور نحو المنازل وإخراج من فيها، لكن قوة اندفاع المياه كادت أن تجرفنا نحن الأربعة لولا لطف الأقدار. وبقينا هناك نصارع المياه حتى تمكنا في النهاية من الوصول إلى المنازل. ثم استعنا بالحبل لمساعدتنا على إخراج سكانها...وتمت العملية بصعوبة بالغة. وقد استغرقت عملية الإنقاذ أكثر من ثلاث ساعات، خلالها حاولنا الاتصال بجميع الجهات الرسمية(الوقاية المدنية، الدرك...) بواسطة الهواتف النقالة، لكن بدون جدوى.

بعدما انتهينا من عملية الإنقاذ، نقلنا جميع أفراد الأسر المنكوبة إلى أقسام الإعدادية الموجودة بمحاذاة الدوار. حدث هذا ليلة الإثنين17نونبر 2003، وهي الليلة التي ستبقى عالقة في ذاكرتي ما حييت. لقد قمت بواجبي كمواطن يدرك أن المخاطرة بحياته في سبيل الآخرين هو ما تقتضيه المواطنة في مثل هذه الظروف. وأشهد أن التقصير في المسؤولية كان أخطر في حالة إنقاذ إثنين من عناصر البحرية الملكية، بعدما جرفت المياه عربتهم العسكرية حين اجتيازها لقنطرة الوادي الكبير. إذ رغم كل محاولات الاتصال بالمصالح المختصة التي قام بها السكان المجاورين للمكان، فإن لأحد تحرك للتدخل، لينتهي المشهد المؤلم، بعد ساعتين من المقاومة والتحدي، بغرق أحدهم ونجاة آخر بأعجوبة بعدما جرفت المياه عربتهم، فيما الثالث كان قد لقي مصرعه على الفور داخل العربة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذه الواقعة حدثت في اليوم الثاني، الثلاثاء2003/11/18 نهارا.

الحصيلة كانت مأساوية وثقيلة: وفاة ثلاثة مواطنين وجرح عدد كبير منهم، وحالات من الانهيار العصبي والنفسي. خسائر مادية فادحة شملت المواشي والمزروعات والبساتين واقتلاع الأشجار، وتحطم القناطر وإتلاف المسالك... ولا من يبالي؟.

شهادة مواطنة من دوار طوريس

ليلة الإثنين٢٠٠٣/١١/١٧ فوجئنا نحن سكان دوار طوريس بفياضانات مهولة غمرت مياهها منازلنا، فأتلفت كل محتوياتها من الأثاث المنزلي(ثياب، أغطية،أفرشة، كتب مدرسية...الخ)، وقد أثار ذلك هلعا بين الأسر وأطفالهم. ولم يكن أمامنا سوى اللجوء إلى الدائرة القديمة للاحتماء بها، ولانزال هناك إلى الآن، رغم الاكتظاظ، في انتظار حل منصف وعادل. مطلبنا الوحيد هو منحنا سكنا نحتمي فيه(ستة أسر عدد الذين فقدوا مساكنهم).

لقد منحتنا السلطات خيما، فكيف يعقل أن يحتمي الناس في الخيم في فصل الشتاء ببرده القارس...وقد أصبحت كل قطرة مطر كابوسا مخيفا للأسر المتضررة.

أنا فتة أدرس بالثالثة إعدادي، تهدم منزلنا بعد أن غمرته المياه، ولم يعد لنا سكنا صالحا...ضاعت كل تجهيزاتنا المنزلية بما فيها أدواتي وكتبي المدرسية...فمتى ستتدخل السلطات لإيجاد حل لوضعيتنا؟(...).

سناء حاضر(تلميذة)

تصريح المواطن سعيد الجلالي

على إثر الأمطار الطوفانية والفياضانات التي عرفتها جماعة بني بوفراح من ١٧/١١/٢٠٠٣، وما نتج عن ذلك من خسائر بشرية ومادية. أصرح أنا الموقع أسفله، الحامل للبطاقة الوطنية رقم المقيم بمركز الجماعة بما يلي من الخسائر المادية التي طالتني:

وتتمثل في هكاران من الأرض مشتراة بثمن قدره١٥٠,٠٠٠درهم، وقد تم حفر بئر بهذه البقعة بكلفة قدرها٢٠,٠٠٠درهم، إلى جانبه "صاريج" كلفته٦٠٠٠درهم، ومسكن صغير كلف بناءه٣٠,٠٠٠درهم ويحتوي على أدوات ومعدات فلاحية تقدر بحوالي١٠,٠٠٠درهم. كما كانت تتخلل هذه البقعة الأرضية غرس يقدر ب٣٠٠شجرة مختلفة النوع.

وأشير إلى كون هذه البقعة الأرضية كانت مجاورة للطريق عند مدخل مركز الجماعة.

زاوية سيدي عبد القادر

الكارثة حقيقية

أصبح الوضع بمداشر الريف أكثر سوءا مما كان عليه في السابق. وضع مقلق وكارثي يفرض على الجميع بدون استثناء إعلان حالة طوارئ جدية، إنه امتحان حقيقي لكل الأطراف من أحزاب سياسية وجمعيات مدنية وسلطات عمومية ومجالس منتخبة وفاعلين اقتصاديين واجتماعيين. فالمطروح على هؤلاء جميعا تشكيل لجان مشتركة متساوية الأعضاء والتوجه ألى الريف للوقوف على الخسائر الكبرى التي سببتها الأمطار العاصفية الأخيرة والتي أودت حسب البعض بحياة أزيد من 25 قتيل دون احتساب المفقودين. وإتلاف المناطق المخصصة لزرع الخضر سواء على ضفاف وادي غيس أو في أماكن أخرى قرب الودية المخللة لجبال الريف.

الكارثة حقيقية،لا أحد له من المعطيات الحقيقية ما جرى فعلا.إلا أننا نسجل هذه المرة تراجعا في أداء السلطات العمومية مقارنة بما كانت تقوم به في الماضي.ففي السابق كانت كلما أرادت أن تتعرف على ما يجري أو جمع معلومات تتعلق بموضوع ما، بمداشر الإدارة الترابية التابعة لها إلا واستنفرت مقدميها ومجنديها لذلك فتجمع جل ماهي بحاجة إليه لاتخاذ قرارات سياسية يعلم المحنكون في مجال السياسة فعاليتها.

غير أن العكس هو ما حدث هذه المرة فقد اكتفت بفتح لوائح بمكاتبها لتسجيل المتضررين من الأمطار العاصفية الأخيرة، وامتنعت عن تقديم أو الحديث عن امتلاكها لأية معطيات إلا ما تتداوله العامة.

الكارثة حقيقية. فالطرق والمسالك انقطعت بشكل نهائي وحتى نكون أكثر موضوعية، فبالجماعة التي نتحمل مسؤولية تمثيل دائرة من دوائرها وهي جماعة زاوية سيدي عبد القادر كمثال، أتلفت بها كل المسالك بشكل نهائي أضف إلى ذلك تخريب القنطرة المشيدة فوق واد غيس في الطريق الإقليمية رقم 5207 وبذلك أصبحت ساكنة الجماعة كلها تقريبا معزولة ومهددة بتداعي منازلها بين وقت وآخر. ومما زاد من خطورة الوضع وهو أنه لحد كتابة هذه السطور أي بتاريخ2003/11/09 والأمطار والرياح لا تتوقف إلا لأيام قليلة.

إن الريف يقدم نداء استغاثة إلى كل الهيئات المسؤولة وطنيا ودوليا للوقوف إلى جنبه في هذه المحنة. إن ما يحدث بالريف حاليا وما يجره من ردود فعل كل الأطراف هو مؤشر حقيقي على مدى نضج وفعالية وتقدم جمعيات المجتمع المدني والهيئات السياسية والسلطات العمومية والمجالس المنتخبة في تحمل مسؤوليتها.

سعيد بنعلي

تارجيست

الأمطار الأخيرة تزيح أوراق التوت لينكشف المستور

عرفت مدينة تارجيست يومي17و18 نونبر المنصرم، تساقطات مطرية مهمة وصفت بالطوفانية نظرا للوقع الكبير الذي كان لها على البنية التحتية ل المدينة والخسائر المادية الجسيمة التي خلفتها.

على مستوى البنية التحتية:

مدينة تارجيست من طبيعتها هضبة مطوقة بالجبال، توجد تحت قدم جبل المعلمين الذي جرد من غطائه الغابوي من طرف السكان المجاورين، الشيء الذي جعل هذه المدينة تتأثر، وبشكل مباشر، بانجراف التربة الذي تحدثه التساقطات المطرية وفي غياب القنوات الإسمنتية على طول الطريق الوطنية رقم 2 الرابطة بين الحسيمة وتطوان وبالأخص الجزء الذي يوجد داخل المدار الحضري حتى تتمكن من جر هذه المياه والأوحال إلى خارج المدينة وكذا غياب البالوعات التي بإمكانها استيعاب كمية الماء والتربة المنحدرة من الجبل المذكورأعلاه. وهكذا، بقيت شوارع المدينة وبالخصوص شوارع تجزئة بئر انزران بشطريها الأول والثاني تحت رحمة المياه الغزيرة والأوحال والأحجار إلى درجة أصبحت بعض الشوارع غير صالحة للإستعمال من طرف السيارات نظرا للأخاديد التي أحدثت بها والأحجار والأوحال التي كست معظمها.

ومن الأحياء المتضررة بنسبة كبيرة، نجد حي المعلمين السفلي(حي أكنتار) هذا الحي الذي ألحق بالمدار الحضري سنة 1992 والذي يفتقر لأبسط المقومات التي بإمكانها أن توجد في حي ينتمي إلى المدار الحضري، فلو سألنا عن الكهرباء سنجد بأن حي أكنتار لايتوفر ولو على مصباح كهربائي واحد، ولو سألنا عن تصفيف الشوارع فسنجد بأن هذا الحي يتوفر على منفذ واحد خربته مياه الأمطار الأخيرة، أما إن سألنا عن شبكة الوادي الحار فستكون الإجابة هي أن حي المعلمين السفلي لا يتوفر على شبكة الصرف الصحي، لو استثنينا جمعية النهضة لحي أكنتار وبمشاركة السكان التي قامت، بإمكانياتها الذاتية رغم شحها، بخلق شبكة الماء الحار لإبعاد الروائح الكريهة التي كانت تنبعث من البرك الآسنة المتواجدة وسط الحي، إضافة إلى شبح الأمراض الذي كان يهدد السكان وبشكل مستمر. والغريب في الأمر أن المتعاقبين على تسيير الشأن المحلي بتارجيست من 1992 إلى يومنا هذا لم يحركوا ساكنا تجاه هذا الحي، ومما زاد الطين بلة أن الأمطار الأخيرة جرفت معه كل ما أنجزته جمعية النهضة لحي أكنتار التي قدرت الخسائر في 10.000درهم. لقد تهاطلت الأمطار وستليها أمطار أخرى وستجرف معها إنجازات الجمعية السالفة الذكر، ويبقى التساؤل مطروحا على من يدعي بأنه يحمل لساكنة ترجيست ما لم تحمله المجالس المتعاقبة على بلدية تارجيست...فإلى متى يظل حي أكنتار(المعلمين السفلي) غائبا عن أجندة المجلس البلدي؟

ومن الانعكاسات السلبية الأخرى للأمطار التي عرفتها تارجيست ، وبعد أن امتلأت حقينة سد وادي الجمعة وبدأت المياه تنساب من فوقه على شكل شلال كبير اضطرت معه الإدارة المكلفة بتدبير شؤون السد إلى فتح المنافذ التي توجدفي أسفله لتتدفق المياه وبكمية كبيرة كانت نتيجتها إتلاف إحدى قنوات جر المياه إلى مركز المعالجة، مما جعل الماء الصالح للشرب ينقطع من صنابير ساكنة ترجيست لمدة 4 أيام، ولولا آبار سكان حي المعلمين التي أنقذت الموقف لكانت الكارثة أكبر.

والغريب في الأمر، تقع كل هذه الكوارث بالمدينة ولا أحد من المسؤولين عن الشأن العام المحلي، من مجلس بلدي وسلطة محلية قد حرك ساكنا في تدبير الأزمة ، وبالخصوص أزمة الماء الصالح للشرب، رغم أن البلدية تتوفر على شاحنة صهريجية، لم يسجل ولو مرة واحدة على طول أربعة أيام من انقطاع الماء الصالح للشرب عن السكان، أن قامت بمبادرة لمد السكان، على الأقل، الذين لايتوفرون على إمكانيات جلب الماء من الأماكن البعيدة بهذه المادة الحيوية والصرورية...؟



- الخسائر المادية:

إلى جانب الخسائر المادية التي خلفتها هذه الأمطار بحي أكنتار وفي غياب بنية تحتية صلبة تحتمل الكوارث الطبيعية في حجم الأمطار الطوفانية التي شهدتها المدينة ونواحيها، وإلى جانب الأضرار التي لحقت بشوارع المدينة التي تعمقت حفرها، فقد داهمت المياه إحدى الأسوار الخلفية لمنزل بتجزئة بئر انزران الشطر الثاني مما سبب في إلحاق أضرار بسيارة كانت بالمرآب إلى جانب باب هذا الأخير الذي أصبح غير صالح بقوة المياه الجارفة، كما انهارت منازل أخرى أو جزء منها في كل من حي آيت عزة وحي المعلمين والتي يستمر معها تواجد خطر وقوع منازل أخرى بهذين الحيين نظرا لوجود منازل مبنية على الطريقة التقليدية(حجر وطين) وبدون أساسات متينة.

أما الخسارة الأخرى التي قدرت بملايين الدراهم فهي التي عرفها مشتل المياه والغابات الذي ذهب عن آخره، وقد حددت خسائره حسب ما يتداوله الشارع الترجيستي في أكثر من 50مليون سنتيم، إلى جانب الخسارة التي عرفها مستودع الخشب لأحد المنعشين الإقتصاديين المحليين التي حددت في 100مليون سنتيم. هذا، ودون أن ننسى انهيار القنطرة التي تربط بين تارجيست ودوار مراصة والقنطرة التي تربط قبيلة بني مزدوي ودوار إحوصن ومركز الشايف، مما جعل هذه الدواوير شبه معزولة عن مدينة ترجيست مركز التموين الغذائي لساكنتها.

والسؤال الذي يبقى مطروحا على الجهات المسؤولة على سلامة وأمن المواطنين، هو: ماذا لو استمر تهاطل الأمطار بنفس الوتيرة ولمدة أطول..؟

علي بنعمر

ثاوسارث...تستغيث

تقع دواوير: ثاوسارث، إشّوين،ثغزة، أسكرام وإعبوثن في المنطقة الشمالية الغربية لمدينة الحسيمة على بعد ٤٦كلم من مدينة الحسيمة (منها 16 كلم غير معبدة من الرواضي المركز إلى الدواوير المذكورة آنفا).

ومعلوم أن هذه المنطقة كلها كانت عرفت جفافا كبيرا، خلال العقدين المنصرمين، عجل برحيل وهجرة عدد كبير من أهالي هذه المنطقة نحو المدن الشمالية بالخصوص. هذا، إضافة إلى الزلزال، الذي كان قد ضرب الحسيمة سنة ١٩٩٤، وتسبب بشكل مباشر في شبه إخلاء لساكنة وأهالي المنطقة.

وتعد هذه الطريق المؤدية إلى هذه الدواوير بمثابة الشريان الذي يصل أهالي المنطقة بأراضيهم، والمخرج الوحيد لهؤلاء الضعفاء من طوق العزلة المضروب عليهم. فبالرغم من تدخل المجلس الإقليمي للحسيمة والسلطات المسؤولة بالإقليم لأجل إصلاح هذه الطريق غير ما مرة ، بحيث تم صرف مبالغ لابأس بها في فتح المسالك بوضع قناطر على أكثر من وادي يقطع هذه الطريق، إلا أنه وبسبب الأمطار الطوفانية التي عرفها إقليمنا مؤخرا فإن السيول جرفت كل ما تم إصلاحه من قبل، الأمر الذي أثر بصورة شديدة على السكان وشل حركتهم بشكل نهائي تقريبا.

تبعا لذلك، فإننا نحن مجموع ساكنة هذه المنطقة المتضررين، نناشد السلطات الإقليمية والهيئات المنتخبة والمصالح المختصة التعجيل بتفقد أحوالنا وإيجاد حلول لأوضاعنا المزرية، بدءا بإعادة فتح الطريق المؤدية إلى دواويرنا وتقديم مساعدات للمحتاجين منا والمتضررين بشكل أكبر...حتى لايكون مصير ما تبقى من سكان هذه المنطقة هو مصير من سبقهم، أي الهجرة ولكن بشكل جماعي هذه المرة.

احمد بنهادي

على إثر الفيضانات التي عرفها إقليم الحسيمة

المجلس القروي لجماعة النكور يعقد دورة استثنائية بعد محاولات لمنع انعقادها من طرف ممثل السلطة المحلية

اجتاحت فيضانات عارمة مناطق مختلفة تابعة لجماعة النكور، نتج عنها إتلاف كلي للمحاصيل الزراعية الواقعة على سهل النكور وتدمير شبه تام لبعض الدور السكنية بدواوير مختلفة.

وعقب ذلك قامت اللجنة التقنية التابعة للجماعة تحت إشراف النائب الأول للرئيس بمعاينة المناطق المتضررة وإعداد تقرير مفصل عن حجم الخسائر المادية التي لحقت بالجماعة في مختلف القطاعات.

وبموازاة مع ذلك دعا المجلس القروي لجماعة النكور إلى عقد دورة طارئة يوم 24/11/2003لتدارس وقع وهول الكارثة على السكان وتحديد مجال التدخلات والتدابير المناسبة لتجاوز هذا الوضع الحرج. وحسب إفادة من أحد المستشارين فإن ممثل السلطة المحلية رفض عقد الجلسة في الآجال المحددة من طرف المجلس بدعوى أن له الحق بدراسة Oدول الأعمال المقترح خلال أسبوع كامل، مما أرجىء الاجتماع لليوم الموالي ومع ذلك تخلف قائد الملحقة عن الاجتماع لتم عقد الدورة يومه الجمعة 28/11/2003.

ومن بين النتائج والخلاصات التي أسفرت عنها جلسة الجمعة هو العمل على إصلاح جميع الطرق والمسالك التابعة للجماعة اعتمادا على الإمكانيات الذاتية للجماعة وتخصيص اعتماد لترميم المساكن المتضررة وذلك بتحويل البرمجة من ميزانية التجهيز التي كانت مخصصة لشراء الجرار.

إن مثل هذه المبادرات التي قام بها المجلس الجماعي تشكل بريق أمل لدى المواطنين التابعين لهذه الجماعة، إلا أن العديد منهم ينظرون بحذر شديد إلى كل هذه الإجراءات التي لم تبلور بعد على أرض الواقع سواء من طرف الممثلين المحليين أو الساهرين على مختلف القطاعات التي تضررت منها هذه الفيضانات كقطاع التجهيز والفلاحة.

محمد بوطسفونت

تقرير حول الأضرار الناجمة عن الفيضانات التي عرفتها جماعة النكور أيام 16-17-18 نونبر 2003

على إثر الفيضانات التي عرفتها المنطقة خلال أيام 16/17/18 نونبر 2003وما نتج عنها من خسائر مادية سواء في الميدان الطرقي أو الفلاحي أو السكني، فقد قامت المصلحة التقنية بالجماعة إلى جانب المجلس بجولة تفقدية بتراب الجماعة لتشخيص الوضع عن قرب والعمل على تحديد الأضرار واقتراح الحلول الممكنة، وهكذا تم تسجيل ما يلي:

القطاع الطرقي:

جميع المسالك الطرقية أصبحت غير صالحة للاستعمال وخاصة:

- الطريق الرابطة بين مركز امنوذ ودوار الرابطة على طول05كلم.
- الطريق الرابطة بين دوار تملاحت ودوار بني بوستة عبر تزوراخت العليا على طول15كلم.
- الطريق الرابطة بين تزوراخت السفلى(القنطرة) وتزوراخت العليا وأيث عيسى على طول10كلم.
- الطريق الرابطة بين بني بوعياش والرابطة عبر بوقياض على طول08كلم.
- الطريق الرابطة بين أكاركار يزيضن وبني بوخلف على طول08كلم.

القطاع الفلاحي:

- جل الأراضي الفلاحية المتواجدة على الضفة الغربية لوادي النكور انطلاقا من دوار تملاحت إلى غاية دوار امنوذ، أصبحت غير صالحة بتاتا للفلاحة حيث غمرتها المياه والأوحال. وأتلفت جميع المحصولات الفلاحية وتقدر مساحة هذه الأراضي بحوالي 1500هكتار.
- إتلاف السواقي التالية بالأوحال وأصبحت غير صالحة للاستعمال بالمرة وخاصة:
- ساقية تملاحت.
- ساقية مسعادة بتزوراخت السفلى.
- ساقية تيزي مادة.
- ساقية امنوذ.

قطاع السكن:

تم الوقوف على أضرار مختلفة شملت مجموعة من المساكن وخاصة المشيدة قديما وأصبحت مهددة بالسقوط .

الحلول والتدخلات:

نلتمس من الجهات المعنية كل في دائرة اختصاصه التدخل الفوري وإيجاد الحلول المناسبة للتخفيف من وطأة الأضرار التي شهدتها المنطقة خلال الأيام الأخيرة وذلك بفك العزلة عن ساكنة الدواوير النائية وفتح المسالك المتضررة السالفة الذكر بإيفاد آليات في أقرب وقت ممكن. أما فيما يخص القطاع الفلاحي نلتمس إيفاد لجنة مختصة في الميدان لتقييم الأضرار عن قرب واتخاذ المتعين في أقرب الآجال بما في ذلك التعويض عن المحاصيل الزراعية المتلفة، وتنقية السواقي من الأوحال.

ولتفادي مثل هذه الأضرار مستقبلا نلتمس برمجة بناء حائط وقائي على طول الضفة الغربية لواد النكور بتراب الجماعة.

بخصوص القطاع السكني نلتمس من السلطات المعنية مد يد المساعدة للساكنة المتضررة حتى يتسنى لها إصلاح مساكنها باعتبارها ذات دخل جد محدود.

ملحوظة:يتضمن هذا التقرير لائحة بأسماء المتضررين (52متضرر).

امضاء: الرئيس سعيد ولد الحاج

المجلس البلدي للحسيمة يعقد دورة استثنائية:

حين يحضر الكلام ويغيب الفعل

في إطار السياسة الجديدة التي يحاول المجلس تكريسها لنفسه، عقد المجلس البلدي لمدينة الحسيمة يومي 4/3 دجنبر2003 دورة استثنائية لأجل تقييم حصيلة كارثة الفيضانات التي ضربت الحسيمة أيام 19/18/من الشهر الجاري. ولأجل تحسيس الكل بمدى جسامة المسؤولية التي تتحملها الدولة فيما حدث، أحسن المجلس صنيعه حين استدعى لهذا الغرض مدراء وممثلي الكثير من المؤسسات التابعة للدولة(مديرية التجهيز-مديرية إعداد التراب الوطني والبيئة-المكتب الوطني للماء الصالح للشرب-المكتب الوطني للكهرباء- المديرية الجهوية للإسكان- مديرية الوكالة الحضرية...) وبحضور مسؤولين عن السلطة المحلية.

ولكن بدل أن تنصب تدخلات هؤلاء الممثلين لجهاز الدولة على تشخيص الأدوار واقتراح الحلول الممكنة مستقبلا، أبان بعضهم عن عقلية قديمة مفادها أنها كانت حاضرة بكل قواها في الميدان وقدمت كل ما يلزم للمواطن على مستوى إقليم الحسيمة، وأنها كانت ناجحة جدا في تدخلاتها على مختلف الصعد بلغة متخشبة عفى عنها الزمان. هذا في الوقت الذي تكشف واضحا للحضور كيف أن أحد هؤلاء يجهل جهلا مطلقا حتى أسماء ضواحي الإقليم الذي يتحمل مسؤولية تدبير شؤونه (كان أحد المتدخلين يتحدث عن بني حذيفة ببني حفيظة)، الشيء الذي أثار حفيظة الحاضرين المنتبهين من الحضور ودفع ببعض بأعضاء المجلس البلدي إلى التدخل بكثير من الجرأة السياسية ومناقشة مضامين تدخلات السادة المدراء والتعبير عن عدم رضاهم إزاء هذه الأجهزة والمؤسسات ودعوتها لإعادة النظر في أساليب عملها المختلفة (العمل من وراء المكاتب)والنهوض بأوضاع الإقليم المهترئة، والاتجاه صوب الفعل بدل جلد عميرة بالكلام.

تقرير المجلس البلدي حول الأضرار التي لحقت بالمدينة



عرفت مدينة الحسيمة خلال 17و18 نوفمبر 2003 تساقطات مطرية طوفانية تسببت في خسائر كبيرة وهناك مخاطر ممكن أن تحدث في المستقبل كانهيار المنازل والطرق وقد يؤدي انغلاق مجاري مياه وادي الحار بالأتربة إلى انبعاث الروائح الكريهة وتفشي الأمراض.

الأضرار الملحوظة

1. القناطر
- انهيار قنطرتين في تيغانمين
- انهيار قنطرة بوجيبار وسيدي منصور
- انغلاق قنطرة على شاطئ صباديا

2. الطرق
- انجراف للطريق المؤدية للحسيمة(مدخل المدينة) وطريق كيمادو.
- انتشار الحفر في مختلف شوارع المدينة:
- أمام العمالة طريق سيدي عابد - شارع سبتة - شارع مدغشقر - العراق - ابن رشد - الطريق المؤدية لأفزار سيدي منصور- الإسكندرية - طارق بن زياد - الجديدة - الكندي - الغابون - النهضة - الأطلس - الوحدة - الشريف الإدريسي - سيدي حرازم - مولاي يعقوب - خالد بن الوليد - الطوغو المنفلوطي المنارة - الطاهر بن عبد الكريم بادس - وادي الذهب - الرحمانة - شارع مالقا - ميرادور.

3. انهيار حائط في مدخل المدينة وحائط ثانوية مولاي علي الشريف

4. سقوط 15 أعمدة كهربائية وانكسار حوالي 20 مصباح

5. إتلاف جل قنوات وادي الحار في مرموشة وأفزار.

الإجراءات الوقائية المستعجلة لتفادي المزيد من الكوارث

- وضع بصفة استعجالية دراسة لتصريف مياه الأمطار التي تهدد منازل مرموشة وأفزار والسوق وميرادور
- وضع دراسة لتجديد وإصلاح قنوات وادي الحار
- إصلاح المنازل التي فيها شقوق.

ملحوظة: التقرير مرفق بلائحة لبعض المتضررين من مختلف أحياء المدينة، خاصة أحياء أفزارو الرومان وبوجيبار، تضم 47 إسما.

الجماعة الحضرية للحسيمة

إمضاء: الرئيس محمد بودرا

مطلب مُلحّ أبانت عنه الفيضانات الأخيرة

ضرورة الحل التشاركي والشامل لإشكالية الأزبال في إقليم الحسيمة

لا أحد يجهل بأن المزبلة العمومية لمدينة الحسيمة تعد النقطة البيئية السوداء في جبين هذه المدينة التي توصف ظلما بجوهرة البحر الأبيض المتوسط . و قد تعددت، مؤخرا، تصريحات بعض المسؤولين محليا و مركزيا، حيث جاء على لسانهم بأن إيجاد حل لهذه المزبلة يأتي على رأس اهتماماتهم فيما يخص المشاريع المستقبلية لهذه المدينة . هنا نجد أنفسنا مضطرين لطرح السؤال البديهي التالي : لماذا تحويل مزبلة المدينة الكائنة حاليا بالجرف البحري لسيدي عابد ؟ الجواب واضح و معروف لدى الجميع، يمكن تلخيصه في نقطتين اثنتين ؛ الأولى تتمثل في وضع حد لتلويث البحر بمختلف أنواع النفايات الصلبة التي تلقى فيه مباشرة، و الثانية تتمثل في حماية ساكنة المدينة، قاطنو الأحياء القريبة منها خاصة، من الروائح و الأدخنة و الحشرات التي ترسل بها المزبلة نحوهم يوميا .

و الآن، لنلق نظرة خاطفة على طبيعة الأماكن التي تطرح فيها بعض المراكز الحضرية و الشبه الحضرية، في إقليم الحسيمة، بأزبالها :

- بلدية إمزورن: صارو خزان، ينتهي إلى البحر مخترقا طولا سهل انكور بأكمله.
- بلدية آيث بوعياش:وسط وادي انكور، على بعد حوالي ست كيلومترات عن البحر.
- جماعة آيت يوسف و علي:وسط وادي غيس على بعد أقل من ثلاث كيلومترات عن البحر .
- مركز تامسينت: على أحد الروافد القريب جدا من وادي غيس .
- مركز آيث حذيفة : على منحدر يؤدي إلى وادي غيس .
- مركز أربعاء تاوريرت: وسط وادي انكور المؤدي مباشرة إلى سد محمد بن عبد الكريم الخطابي !؟
- مركزي آيث بوفراح و طوريس:وسط وادي آيث بوفراح، على بعد ست كيلومترات من البحر(بالنسبة للمركز الأول) .
- مخيم كلايريس:وسط وادي يليش على بعد كيلومتر واحد من البحر .

إن تأملا بسيطا في هذا الجدول، سيجعل كل ذي عقل سليم يعترض - و بشدة- على أي مشروع يستهدف حل إشكالية مزبلة مدينة الحسيمة بمعزل عن المراكز و التجمعات السكانية الأخرى داخل الإقليم، وأن مثل هذا الحل سيكون متسرعا و عشوائيا لن يحقق الهدف المركزي المنتظر منه- إطلاقا- ألا وهو وضع حد لتلويث سواحل و شواطئ الإقليم بالنفايات الصلبة لمدينة الحسيمة، ما دام أن نفس هذه السواحل و الشواطئ تستقبل كميات مماثلة من الأزبال انطلاقا من مراكز أخرى مجاورة .

و فضلا على أن جزءا هاما من نفايات هذه المراكز، و غيرها، تنتهي مباشرة إلى البحر، فإنها تساهم بشكل كبير في فيضان الأودية على مستوى القناطر و الممرات الأفقية المقامة عليها، و ذلك بفعل انسدادها بالأزبال . و زيادة على ما تتسبب فيه هذه الفيضانات من انقطاعات في الطرق فإنها تغرق الأراضي الفلاحية ماء و أزبالا . و الأمثلة التي يمكن أن نسردها في هذا السياق عديدة و متنوعة، وسنورد أربعة منها فقط : صارو خزان _ صارو أمجاح _ صارو أذهشور _ وادي آيث بوفراح (عند مدخل مركز طوريس)... و يمكن لأي واحد أن يزور هذه الأودية ليعاين ميدانيا _ قرب مصابها خاصة- الآثار التي تركتها مع الأمطار الأخيرة سواء على المسالك الطرقية أو على الأراضي و المحاصيل الزراعية، علما أن مثل هذه الخسائر تتكرر كل موسم أمطار تقريبا ، و لم تجد لحد الساعة شكايات المواطنين المتضررين المتكررة نفعا .

لقد أضحى التخلص من الأزبال في عموم إقليم الحسيمة مسألة بنيوية و معقدة ما فتئت مضاعفاتها تتكاثر و تتعاظم ، خاصة أمام ارتفاع و وتيرة التوسع العمراني و ازدياد حجم الاستهلاك في عاداتنا اليومية ؛ فمن تلويثها للبحر أصبحت تلوث الوديان و مختلف أنواع المجاري المائية و من خلالها الأراضي الفلاحية، و اليوم أصبحت تتسبب في الفيضانات و ما ينتج عنها من انقطاع في الطرق و ضياع في المحاصيل الزراعية و في الأرواح البشرية . إن هذا الوضع الغير السوي الذي أضحى اليوم جليا أكثر من أي وقت مضى بفعل أمطار تذكرنا فقط بأمطار الستينات و ما قبلها- حتى لا نقول أمطار غزيرة و لا طوفانية- يفرض على كل الجماعات المحلية _حضرية كانت أو قروية- وجوب التفكير في حلول ليست فقط شمولية و تشاركية، إنما أيضا حضارية و عصرية، يُراعى فيها مبدأ التدبير المتكامل للنفايات .

خالد لبحار

آيث بوعياش

أمطار غزيرة نتجت عنها خسائر مادية وبشرية ودورة استثنائية خيم عليها فيض لغوي

لقي مواطن يدعى "التغدويني عبد الحميد"، وهو في الأربعينات من العمر، مصرعه حين كان في مهمة إنقاذ لإحدى السيارات التي حاصرتها المياه الجارفة يوم الإثنين17/11/2003 بوادي سفتولة ضاحية دوار تيفروين مستعملا في ذلك جراره، لكنه لم يتمكن من الوصول إلى بر الأمان بعدما ارتفع منسوب المياه بالوادي، فيما نجا أحد المرافقين له بعد اجتيازه للنهر بصعوبة.

ولم يعثر على جثة الضحية إلا صبيحة اليوم الموالي وقد غمرتها الأوحال بالقرب من بلدية بني بوعياش.

وعلاقة بالموضوع، فقد خلفت الأمطار الغزيرة التي تهاطلت يومي 17و18 من نونبر الماضي خسائر وأضرار مادية جسيمة نتج عنها تصدع في البنايات السكنية وانقطاع في ا لتيا الكهربائي وتوقف عن تزويد الساكنة بالماء الصالح للشرب لمدة أسبوع.

ارتفاع حقينة سد محمد بن عبد الكريم الخطابي دفع بالمصالح المختصة إلى إفراغ مخزون هام من المياه الذي يتوفر عليه السد وهو يقارب 34مليون مكعب.

وهذه السيول التي صبت بوادي النكور، جرفت معها نسبة كبيرة من المحاصيل الزراعية وجزء هام من الأراضي الواقعة على ضفتي النهر وباتت المساكن المجاورة له مهددة بالفيضانات نتيجة التدمير الحاصل على مستوى الجدار الوقائي.

بالإضافة إلى ذلك، تضررت المسالك الطرقية بشكل ملحوظ وذلك بسبب انجراف التربة وتحول البعض منها إلى برك مائية، كما تجمعت الأتربة والأحجار بأجزاء مختلفة من الطريق الوطنية رقم2 التي تمر بوسط المدينة، وراح ضحية هذه الأمطار كذلك عدد كبير من المواشي والدواجن إثر الإنهيارات التي لحقت بالمباني المخصصة لإيوائها.

وعقب ذلك، عقد المجلس البلدي لبني بوعياش دورة استثنائية يوم الجمعة2003/12/12 خصصت للتداول في مجموعة من النقط، وكان فيها موضوع تدارس الآثار الناجمة عن الفيضانات والبحث عن الحلول الممكنة من أبرز ما تمت مناقشته خلال هذه الدورة والتي خلصت إلى رفع ملتمسات إلى المصالح الخارجية ذات الصلة.

الملاحظ أن هذه الدورة استغرقت زهاء 7 ساعات: من الثالثة والنصف إلى حدود العاشرة والنصف مساء، قسمت إلى عدة أشواط خصص حيز هام منها لحديث سجل في قائمة "على هامش الدورة" وجزء خاص للمزايدات الكلامية وكأن أصحاب الكلام الزائد يريدون تسجيل هذه الدورة في موسوعة "جينس"للأرقام القياسية.

هذا الأسلوب الذي دأب عليه المجلس بعيدا عن الاحتكام للنظام الداخلي لضبط سير الجلسات يؤدي ولاشك إلى انجراف في تسيير الشأن المحلي وتغييب لمصلحة المواطنين الذين هم في "دار غفلون" ولسان حال القائمين على الأوضاع بالمدينة يقول: "ناموا ولاتستيقظوا ما فاز إلا النوم".

محمد بوطسفونت

الجمعية المغربية لحقوق الإنسان فرع الحسيمة

تقرير جزئي
عن الخسائر التي تسببت فيها التساقطات المطرية

شهد إقليم الحسيمة أيام 17 و 18 و 19 نوبر 2003 ، تساقطات مطرية متواصلة ، نتج عنها الكثير من الفيضانات، خلفت خسائر بشرية (متوفون ـ جرحى ـ مشردون...) وأهلكت عددا هاما من رؤوس الماشية، وتسببت في أضرار همت ممتلكات خاصة وعمومية ، حيث انهارت عدد من المنازل والقناطر وتضررت العديد من المسالك (أصبحت معها بعض النقط والمراكز معزولة) وأتلفت كميات هائلة من المواد الغذائية والمحاصيل الزراعية و... وبعد الزيارة التي قام بها أعضاء من الجمعية المغربية لحقوق الإنسان لبعض المناطق المتضررة ، والإطلاع على التقارير التي وردت على الفرع من مناطق أخرى ، والإستماع إلى بعض من عاينوا فضاعة الكارثة ... تمكن المكتب المسير لفرع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بالحسيمة من جرد بعض من هاته الأضرار نلخصها في المعطيات المدرجة ضمن هذا الموضوع ، هذا وقد سجل المكتب ، اعتمادا على مصادره الموثوقة وشهادات بعض أعضاء الجمعية، تخلف السلطات العمومية عن تقديم المساعدات الضرورية والعاجلة لإنقاذ أرواح المواطنين (خصوصا في اليوم الأول للكارثة) ومعالجة آثار الأضرار التي لحقت بممتلكاتهم ومنازلهم...



بلدية الحسيمة: - أضرار لحقت ببعض الأزقة والشوارع .
- سقوط الأحجار والأتربة على طول الطريق الممتدة من شاطئ صباديا إلى شاطئ المود.- تضرر بعض المنازل في الأحياء الهامشية . - انقطاع شبه كلي للماء الصالح للشرب. - انهيار حائط لثانوية مولاي علي الشريف.

إزمورن: - أضرار بليغة في الطريق الرابطة بين مدينة الحسيمة ومركز إزمورن.
×أيت قمرة: - انهيار جب للماء.
×ثازاغين: انهيار منزل وتصدع في منازل أخرى.
×الرواضي: مخيم بادس - انهيار الحائط الوقائي.

أيت يوسف وعلي: ×وادي غيس - المياه تحاصر مواطنين لمدة تزيد على 24 ساعة وتم إنقاذهما بمروحية بعد احتجاج عدد من المواطنين.- انهيار القنطرة القديمة المتواجدة على الطريق الوطنية رقم :2.
×أزغار:- انهيار قنطرة تربط مركز أجدير بدوار أيت هشام . وأضرار متنوعة أصابت قناطر أخرى.
×وادي إبرلوقن:- انسداد بعض مخارج القنطرة بفعل تراكم الأحجار والأتربة. - الأراضي الفلاحية المجاورة غمرتها المياه، مما تسبب في إتلاف كمية هامة من المنتوجات الفلاحية.
×المنطقة الصناعية: - ضرر جزئي لحق الطريق المؤدية إلى المنطقة الصناعية.

أيث بوعياش: - أضرار لحقت الطريق الوطنية. - تصدعات وتشققات في جدران وسطوح بعض المنازل -قرب وادي سفتولة - هلاك عدد هام من رؤوس الماشية-قرب سد محمد بن عبد الكريم الخطابي - إخلاء المنطقة المجاورة من السكان، تخوفا من انفجار السد.

النكور: ×تيفروين: دوواير: إرياين +إجروانو+إفاسين+إمزيرن+تفروين المركز - وفاة أحد المواطنين بعد أن جرفته المياه. - إنهيار أزيد من 12 منزل.

اللوطا: دوارأيث براهيم - انهيار منزل زتصدعات في منازل أخرى.

أربعاء تاوريرت: أربعاء تاوريرت + شقران - دواوير: تزمورين+أيث عمر+ثغساست+المركز - انقطاع الطريق بين أربعاء تاوريرت وباينتي بعد الضرر الذي لحق قنطرة على هذا الطريق.
- انقطاع الطريق بين مركز تاوريرت ومركز شقران. - انهيار إسطبلين للماشية. - انهيار جزئي أو كلي لما يزيد عن 10منزل.

إمرابطن: دوار إعزوزن - انهيار ثلاثة منازل.

أيث خليفة: أيث عبد الله -دوار ثرقوزين - انهيار أزيد من 3 منازل.
-دوارثاريوين - انهيار جزئي لأزيد من 5منازل. - تضرر قنطرة قرب مقر الجماعة. - أضرار أصابت المسالك والممرات. - إتلاف الأغراس والمحاصيل الزراعية. - هلاك الأبقار. - تضرر عدد من العيون.

زاوية سيدي عبد القادر: دواوير: بوشكرا+مشكور+بهبان+أصكا... - انهيار عدد من المنازل. - انهيار قنطرتين صغيرتين.
- انهيار القنطرة المتواجدة على الطريق الإقليمية رقم 5207التي تربط الزاوية بمريقا الرواضي.

بلدية تارجيست: - أضرار لحقت قناة الماء الصالح للشرب وبعض الشوارع.
- تضرر مشتل المياه والغابات. - إصابة بعض الأشخاص.

أيث عمارت:- وفاة أحد الأطفال بفعل المياه الجارفة. - انقطاع الطريق بين أيث عمارت وسيدي بوزينب.

سيدي بوتميم: دواوير: تاوريرت + إعزوزن... - ضياع مجرفتين. - ضياع كمية هائلة من الخشب. - انهيار قنطرة وأضرار لحقت بأخرى. - انهيار عدد من الجدران الوقائية. - انهيار ما يقارب عن 3 منازل.
رزقت: دوار بويدرن - اهيار منزلين.

كتامة: اساكن:-انهيار الحائط الوقائي لمدرسة تلا رواق
مولاي أحمد الشريف: دوار:المركز+وارك - انهيار حائط وقائي . - هلاك عدد من رؤوس الماشية. - تضرر المسالك الطرقية. - بعض المداشر أصبحت شبه معزولة.

أيث بوفراح:- دواوير: جنانات+لمعارط+إدغيرن+....الطوريس: - وفاة 3 مواطنين أحدهم عامل في البناء عمره لا يزيد عن 30 سنة، والآخرين من عناصر البحرية الملكية، كان بالإمكان انقاذهما لو تدخلت فرق الإنقاذ في الوقت المناسب .- عدد الجرحى كبير (يتجاوز المائة). - انهيار كلي للقناطر المتواجدة على الطريق التي تربط مركز الطوريس ومدينة تارجيست. - أضرار لحقت الطريق الإقليمية المؤدية إلى مركز أيث بوفراح.
- انهيار عدد كبير من المنازل. - تشققات وتصدعات لحقت بمنازل أخرى ومنشآت عمومية (مثلا مقر الجماعة). - إتلاف جميع المحاصيل الفلاحية. - المياه غمرت كل الحقول والبساتين. - أضرار بليغة لحقت بالأغراس والأشجار. - انقطاع الإمدادات الغذائية عن ساكنة الجماعة. - انقطاع التيار الكهربائي والماء الصالح للشرب. - انجراف حاد للتربة لهشاشتها مما يهدد المنطقة بالتصحر.

سنادة: دواوير: تغالين+سنادة المركز+دار العراص+اعمايرن... - انهيار بعض المنازل وتصدع عدد كبير منها بفعل السيول وقوة التساقطات . - إتلاف مجمل المحاصيل الزراعية في الحقول المحاذية للوادي الكبير (المعروف بسنادة). - المياه غمرت المؤسسات العمومية والمنازل السكنية الادارية بمركز سنادة، مما أدى إلى التعطل الكلي للخدمات ، خصوصا داخل المستوصف وهو الوحيد بالجماعة . - انجراف حاد للتربة بفعل ضعف وتراجع الغطاء الغابوي. - وفاة شاب يبلغ من العمر 25 سنة جرفته مياه واد سنادة ، وعثر على جثته بعد ثلاثة أيام من الكارثة. - إصابة بليغة لعدد من المواطنين . - انهيار عصبي لعدد من المواطنين نتيجة الذعر والخوف وهول الكارثة.

أيث جميل: دواوير: اعشيرن +أيثطيب +ثدمانين +... - وفاة أربعة مواطنين ، ينتمون إلى نفس الأسرة(الأب+3 من أبنائه) نتيجة انهيار كلي لمنزل الأسرة. - عن نفس الأسرة أصيبت الأم برضوض حادة في أطراف جسدها ، إضافة إلى تعرضها لانهيار عصبي حاد. - انجراف حاد للتربة بفعل قوة السيول واندفاع المياه. - انهيار عدد من المنازل) ما يزيد عن 20).
- تصدع عدد كبير من المنازل. إتلاف المحاصيل الزراعية والأغراس والأشجار. - أضرار لحقت المسالك الطرقية الغير المعبدة جعلت سكان بعض الدواوير في عزلة تامة. - جرفت المياه العديد من السيارات. - إتلاف الأغراض المنزلية والمواد الغذائية لعدد كبير من الأسر قلدى العديد من التجار.

الجمعية المغربية لحقوق الإنسان (فرع الحسيمة)

بيان حول كارثة الفيضانات التي شهدها إقليم الحسيمة

عرف إقليم الحسيمة أيام 16 و 17 و 18 و 19 نونبر 2003، تساقطات مطرية غزيرة، نتج عنها الكثير من الفيضانات وتسببت في خسائر بشرية (وفاة أزيد من 10 مواطنين ، ولا زال هناك مفقودين ، وجرح أزيد من 100 وإصابة العديد بانهيارات عصبية ونفسية...) وخسائر مادية (انهيار كلي أو جزئي وتشققات بليغة همت العديد من القناطر والمنازل والبنايات، وتضرر العديد من الطرق والمسالك والأزقة والشوارع، وانجراف حاد للتربة، وإتلاف كميات هائلة من المواد الغذائية والمنتجات الفلاحية، وضياع العديد من الآليات...) وهلاك عدد كبير من رؤوس الماشية، وإتلاف التجهيزات المدرسية، إذ لا زال بعض التلاميذ محرومين من الدراسة (إعدادية بني بوفراح)، وأصبحت عددا من القرى والمداشر معزولة (لازال دوار أيت يوسف بجماعة تاوريرت في عزلة تامة لحد الآن)، ولمدة تزيد عن خمسة أيام ظل الإقليم معزولا عن باقي المناطق، ولا زال الجسر الذي يربطه بإقليم الناظور غير صالح، وتم تعويضه مؤقتا بجسر حديدي، وانقطع الماء الصالح للشرب لمدة تزيد عن أسبوع في المراكز الحضرية، ولا زالت بعض الجماعات محرومة من الماء لحد الآن، بفعل الأضرار التي تكون قد لحقت بمصفاة المياه القادمة من سد محمد بن عبد الكريم الخطابي ، الذي كان بدوره مهددا بالانهيار في أية لحظة ، بفعل قوة تدفق المياه في وادي النكور.

وإن فرع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بالحسيمة ، بناء على الجرد الذي قام به لمخلفات الكارثة وعلى ضوء معاينته لبعض المراكز والجماعات المتضررة خصوصا في جماعات بني بوفراح وبني جميل وسنادة والنكور (امنوذ) وأيت يوسف وعلي (أزغار) وتاوريرت... حيث أصبحت أسر في الجماعات الثلاث الأولى، تنام في العراء أو في خيام بسيطة لا تقيها من البرد القارس ولا تناسب حجم الأسر المتضررة، وللتعبير عن غضبهم رفض مواطنو هذه الجماعات تسلم ما سمي بالإعانات وسخطوا على اللجنة الوزارية التي قدمت من الرباط بعد أسبوع من الكارثة. وبعد تسجيله لموقف اللامبالاة الذي تعاملت به الدولة، بمختلف أجهزتها، مع الكارثة، حيث ظلت السلطات في الأيام الأولى مكتوفة الأيدي، ولم تقدم أية مساعدات مستعجلة للمتضررين، واكتفت بمتابعة الأوضاع وإحصاء الأضرار من مقراتها الإدارية، بل وحتى الطلب الذي تقدم به المكتب المسير لفرع الجمعية المغربية لحقوق الإنسان بالحسيمة إلى المسؤولين بالولاية لعقد لقاء عاجل، لم يؤخذ بجدية وتم التعامل معه بكيفية تنم على عن عنجهية المسؤولين واستخفافهم بدور الجمعيات المدنية وبمصالح المواطنين أفرادا وجماعات.

يعلن للرأي العام المحلي والوطني والدولي ما يلي:

1-تعازيه الحارة لعائلات المتوفين والمفقودين.

2-استنكاره لموقف المسؤولين في عمالة الإقليم من مبادرة الجمعية المغربية لحقوق الإنسان والمتمثل في تجاهلهم لطلبه عقد لقاء عاجل مع أعضاء المكتب المسير.

3-احتجاجه على:
- تعامل المسؤولين مع الكارثة، قبل وبعد وقوعها، وإهمالهم لمصالح المواطنين واستخفافهم بالأرواح والممتلكات.
- عدم تحمل المسؤولين في المكتب الوطني للماء الصالح للشرب لمسؤولياتهم تجاه المواطنين، وعلى عدم إبلاغهم بدواعي انقطاع الماء وعن مدة الانقطاع، وعلى عدم تزويدهم بهذه المادة الضرورية بشكل منظم ومعقلن ودون تمييز بين المراكز والقرى والأحياء.
- الأسلوب الانتقائي الذي انتهجته الوقاية المدنية أثناء توزيعها للماء.
- التعامل اللاإنساني الذي استقبل به مستشفى محمد الخامس، الجرحى الذين قدموا من مختلف المناطق.
- لجوء بعض الجهات إلى استغلال المأساة للزيادة في بعض المواد الغذائية وتذاكر النقل.

4- مطالبته ب:
- اتخاذ الإجراءات والتدابير الضرورية لضمان عدم تكرار الكارثة.
- تخصيص غلاف مالي استثنائي لإصلاح الأضرار وتقوية البنيات التحتية بالإقليم.
- الإسراع في إنجاز الطريق الساحلية.
- تعويض المتضررين وأسر الضحايا.
- الشروع في بناء سد جديد على وادي غيس خصوصا وأن السد الحالي أصبح لا يستجيب لحاجيات الإقليم من المياه لكونه مليئا بالأوحال ومختلف الترسبات.
- ضرورة قيام المسؤولين في السلطة والمجالس "المنتخبة " بواجباتهم، ومعاقبة المستهترين منهم بأرواح المواطنين وممتلكاتهم.
- توظيف الإعلام الرسمي لترشيد المواطنين قبل وقوع الكوارث، ولتبليغ الرأي العام بالحقائق كما هي، دون تعتيم أو نقصان.
- إشادته بالمناضلين والمواطنين الذين تدخلوا لإنقاذ حياة عدد من الأفراد والأسر.
- عزمه على تنفيذ كل الأشكال النضالية المشروعة الكفيلة بحمل المسؤولين على الاستجابة لمطالب الجمعية.

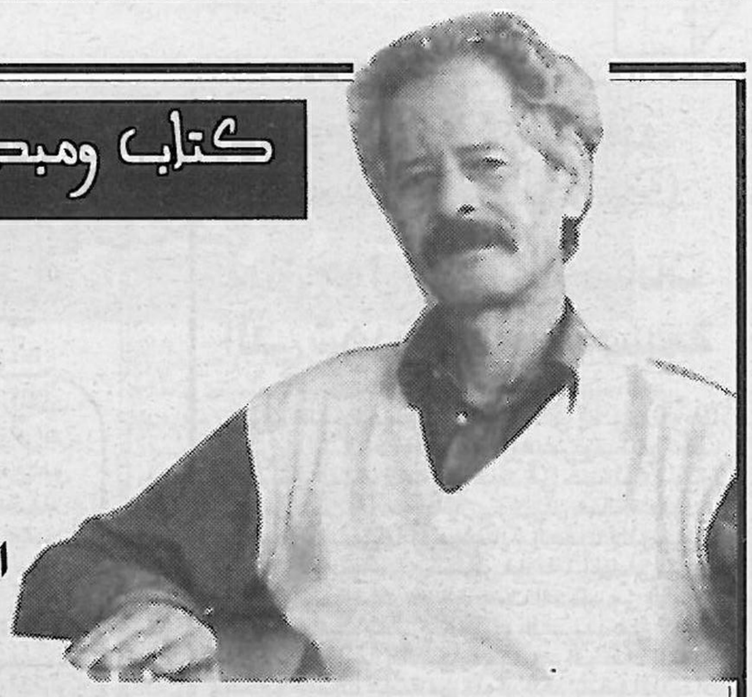
المكتب المسير

كتاب ومبدعون مغاربة يتذكرون الراحل محمد شكري

قد يلزمنا الكثير من الوقت حتى يظهر بيننا قارئ كبير من قبيل الراحل محمد شكري

محمد شكري أو ذلك القارئ الكبير الذي كانه...

■عبد الرحيم العلام



بوفاة الكاتب المغربي الكبير محمد شكري تكون إحدى أهم التجارب السيرذاتية العربية قد توقفت عن التدفق والإمتاع والتأثير.. وإذا كانت تجربة محمد شكري في الحياة وفي الكتابة قد حققتا ذلك الصدى الكبير، بحيث أدخلتا كاتبنا الراحل، ومن خلاله الأدب المغربي الحديث، في دائرة الانتشار الواسع عالميا، فإن تجربة أساسية موازية، قلما انتبهنا إليها، كان لها، هي كذلك، امتداد خاص وأهمية كبرى في حياة كاتبنا الراحل، كما في كتاباته وتفكيره أيضا، تلك، إذن، هي تجربة محمد شكري مع عالم القراءة..

كثيرون هم أولئك الذين تناولوا شخصية الكاتب المغربي محمد شكري من زوايا ما تقدمه سيرته الذاتية، الصادرة في ثلاثة أجزاء، من وقائع استثنائية لها علاقة بالمحكي الحياتي العام لمحمد شكري الإنسان والكاتب، في تمفصلاته الزمنية، وفي تحولاته البيولوجية والاجتماعية والثقافية والذهنية.. غير أن سيرة محمد شكري الذاتية هي أوسع وأمتع بكثير مما تقدمه فقط سيره الذاتية المكتوبة، من وقائع وتجارب متعددةوذات خصوصية ونكهة حكائية وجمالية لافتة ومغايرة لما عهدناه من محكيات في سير ذاتية عربية أخرى.. إذ أن ثمة صور أخرى تكشف عن مجموعة من الاهتمامات والانشغالات الموازية لرحلة الكتابة السيرذاتية لدى شكري، والتي لا تقل أهمية عن تلك الصورة الشهيرة المعروفة عن شكري اليوم، باعتباره كاتبا عالميا ذا تجربة أدبية -سيرذاتية فريدة في الأدب العربي المعاصر، ويتعلق الأمر، هنا، بالخصوص بصورة «محمد شكري القارئ»، بالمفهوم الواسع، هنا، للفظ القراءة. وهي صورة أيضا، لا تقل أهمية ودلالة وتأثيرا وإشراقا عن صورة محمد شكري الكاتب التي ألفناها أكثر من غيرها، وإن بدا أن كل صورة، من هاتين الصورتين، تكمل الأخرى وتتداخل معها، كما تكشف عن ذلك كتابات شكري الأدبية، وحواراته الصحفية وأحاديثه السيرذاتية، ورسائله المنشورة، وكذا كتاباته ومذكراته الموازية لتجربته الكتابية السيرذاتية.. ولا غرابة في ذلك، مادام أن كثرة القراءة قد سبقت عند شكري فتنة الكتابة، وهو ما يجعل منه، في الآن ذاته، كاتبا كبيرا وقارئا كبيرا أيضا..

ومن يقرأ رسائله المتبادلة مع محمد برادة، سوف يدرك أن عملية القراءة عند شكري تشكل جزءا لا يتجزأ من محاربة اليومي، ومن الأخبار الواجب نقلها للأصدقاء، فتجده دائما يحيل على مقروءاته من الكتب والمجلات، إلى الحد الذي يجد في القراءة مجالا للتطهر والإدمان..

كما أن من يتتبع بعض الصفحات المشرقة من الجزء الثاني «زمن الأخطاء» من سيرته الذاتية العطرة، سوف يلمس عن كثب أن محمد شكري كان، منذ بدايات اكتشافه لعوالم الأدب والثقافة، يقبل بلهفة وولع على القراءة، مستمتعا بلذتها، قبل أن يقبل، فيما بعد، على فتنة الكتابة وإغرائها، إن لم نقل بأن القراءة كانت بالنسبة له محفزا أساسيا على ممارسة الكتابة فيما بعد..

ومن يقرأ، كذلك، بعض الفقرات الصادقة والوفية عن شخصية الكاتب المغربي محمد الصباغ، تلك التي يتحدث فيها شكري عن بداية علاقته واكتشافه للصباغ، ومن خلاله يكتشف لأول مرة ما معنى أن يكون الإنسان كاتبا، سوف يفطن إلى أن شكري كان منذ البداية قارئا مكثارا قبل أن يقبل على الكتابة، وتعميق قراءاته أيضا، بإيعاز من الكاتب محمد الصباغ نفسه، حيث يسرد شكري سلسلة من الكتب التي قرأها بتوجيه من الصباغ، والتي فتحت أمامه مجالا أوسع لاكتشاف أسماء كتاب عالميين وازنين، وللتلذذ بعذوبة الشعر الرومانسي لدى العديد من الشاعرات الأجنبيات. كما انفتح مجال القراءة لديه لأول مرة على الأدب المغربي، من خلال قراءته لـ«قصص من المغرب» لأحمد عبد السلام البقالي..

أما عن شغف شكري وهوسه الكبير واللامتناهي بالقراءة، وكذا الإغراء الذي كانت تمارسه عليه، فيمكن لمسه في قوله: «أقرأ أي شيء مكتوب: كتابا معارا أو مسروقا، أو ورقة مكتوبة من على الأرض، أغلبه بالإسبانية. عناوين المتجر والمقاهي يستحوذ علي قراءتها ونقلها، أحيانا على ورقة أو دفتر المسودات (...) صارت القراءة والكتابة عندي هوسا في الحلم واليقظة...».

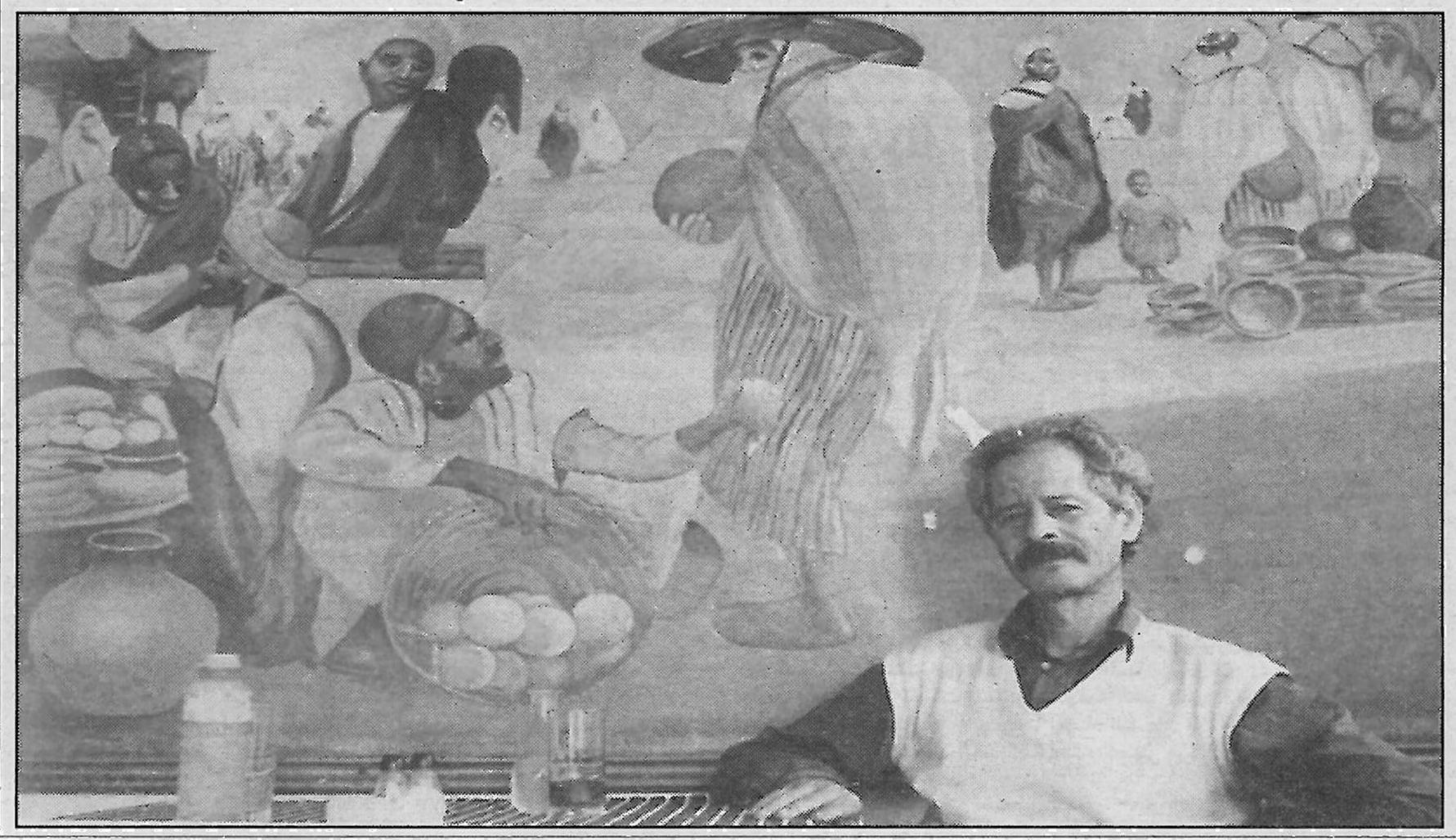
ومن يتتبع كذلك أحاديث شكري الصحفية سوف يكتشف، بشكل لافت، مدى الحضور المتميز عنده للحديث عن تجربة القراءة في حياته، ودورها وتأثيرها العام في أدبه ومخيلته وفي ثقافته ككل، انطلاقا من مجهوداته الفردية تحديدا، حيث لم يكن موجها في البداية من لدن قراء جادين..

وبالإمكان، أيضا، أن نتتبع جوانب من سيرة محمد شكري، ذلك القارئ الكبير الذي صاره إلى حد الإدمان، وكذا محطات من تجربته الغنية مع القراءة والتأمل والتعليق على المقروء، من خلال مجموعة من المداخل الأساسية التي تكشف جميعها عن تجليات صورة ذلك القارئ الذكي الذي يسكن عمق شخصية الكاتب، ليس فقط عبر ما تتميز به هذه الشخصية من ثقافة واسعة، وما تبرزه حواراته وأحاديثه العديدة، إلى جانب ما تضمره لغة الكلام لديه، من قدرة على الاستيعاب والاستثمار الجيد للإحالات المرجعية على نصوص غائبة وعلى كتابات عالمية، من الشرق والغرب، في حقول مختلفة، ولكن أيضا عبر ما تكشف عنه كتاباته الأخرى الموازية لقصصه ومسرحيته، ولسيرته الذاتية ولمذكراته مع كتاب عالميين آخرين من نضج ثقافي ومعرفي كبير، ومن ذكاء خاص في اختيار المقروء وقراءة المكتوب أيضا.. ويكفي، هنا، أن نستدل على ذلك بكتاب فريد من نوعه هو «غواية الشحرور الأبيض»، وأعتبره شخصيا من بين أهم الكتب -الموازية لإبداعاته- التي ألفها محمد شكري، وإن لم ينل بعد كل ما يستحق من متابعة ورصد، على الأقل من زاوية طرافة موضوعه وتنوعه وانفراد محمد شكري فيه -بخلاف كتاب مغاربة آخرين- بالكتابة عن سيرة القراءة لديه، وأيضا من زاوية ما يكشف عنه هذا الكتاب من ثراء لافت في مادته ومعانيه، وفي أفكاره ومرجعياته أيضا، إلى جانب ما يضمره، كذلك، من إمكانات تركيبية هائلة، تميز شخصية محمد شكري في التأمل والمقاربة والتذوق والقراءة للأعمال الأدبية والفكرية، العربية والأجنبية، القديمة والحديثة، وما يكشف عنه، كذلك، من حس نقدي وروح مرحة، ومن سخرية ودعابة وحكم أيضا، الأمر الذي يساهم، هنا، على الأقل من خلال هذه الصورة التي يرسمها هذا الكتاب لشكري القارئ، في زعزعة جوانب من طبيعة ذلك الارتباط الأزلي -الكتابي بين محمد شكري والجزء الأول خصوصا من سيرته الذاتية «الخبز الحافي»..

ففي كتاب الغواية نتتبع محمد شكري قارئا ذكيا، ومتتبعا كبيرا للإنتاج الأدبي العربي والعالمي، بمجهوداته الفكرية الفردية، وهو الذي لم يتابع الدراسة قط بالجامعة، بل إن الراحل قد اخترع لنفسه شرطه الأدبي والتأملي والنقدي، بموازاة مع افتتانه الكبير، وعلى حد سواء، بغواية القراءة إلى جانب غواية الكتابة..

وإلى جانب السرد، يحضر الشعر في كتابات محمد شكري، كما في تجربته القرائية أيضا. ولا غرابة في ذلك، فقد كان الشعر من بين أولى الأجناس التعبيرية التي أقبل شكري على قراءتها والافتتان بسحرها وتأثيرها..

ومحمد شكري في حواراته وأحاديثه الصحفية، وفي شهاداته حول تجربته، كما في كتابه الغواية لا يترك الفرصة تفوته دون أن يحيل على العديد من النصوص الأدبية والفلسفية العالمية والأسماء التي قرأ لها، ليس، هنا، من منطلق استعراض قدراته ومقروئه في هذا المجال أو ذاك، ولكن من منطلق الاستدلال والاستشهاد والشرح والفهم والدفاع عن فكرة أو صد رأي، وأيضا من منطلق توخيه التحليل وإجراء المقارنة، بحيث يصبح، الآن، من الصعوبة حصر تلك الإحالات والكتب والأسماء التي قرأ لها وقرأها شكري، بدءا بالقرآن والشعر، مرورا بالعديد من الكتب لكبار الكتاب العالميين.. وهو وجه يبدو، من خلاله الراحل محمد شكري، أنه قد انتقم لتلك السنوات والأشهر والأسابيع والأيام والساعات والدقائق التي قد يحسب البعض أن الراحل محمد شكري كان قد ضيعها سدى، قبل أن يتعلم القراءة والكتابة، أو حتى بعد التعلم، لكن هيهات، فالراحل العزيز كان يطوي المسافات ويلتهم الكتب بذكاء ذلك الشاطر الذي كانه..



محمد شُكري .. غائباً؟!

■كمال الخمليشي

إنّ الكتابة، مهما كانت طيّعة، تصبح عصيّة على الترويض وهي تُقارب عُمراً وقع في فخّ النهاية .. فأنّى لها أن تُضمّد الجراح بالكلمات، أو أن تصقل السماء في العيون الغائمة؟ هذا هو السؤال الذي يتلمّس جوابه بأبجدية مستحيلة، يصعب معها الحديث عن محمد شكري الغائب .. محمد شكري الثائر الذي عاش، مثل سائر الأحرار، مسكوناً بنعمة التمرّد على الحياة حتّى صار رمزاً لكل مسحوق يتوخّى التخلّص من كابوس الفقر للتمتّع بنِعَم الحياة وطيّباتها .. محمد شكري الذي فضّل أن يعيش متعة الحياة في ليلها تاركاً للنهاريين شؤونهم مع الولائم الماكرة وبطونها العامرة بالجثث كالمقابر الجماعية.

لكن ما هو مؤكّد هو أنّ مستقبل شكري "الغائب" لن ينتهي في ماضيه، فهو مستمرّ بيننا بعمره الإبداعي، مثل باقي الكُبَراء الذين غابوا دون أن يغادروا زمننا المؤَثّث بما خلّفوه من آثار خالدة تشي بسطوة حضورهم الأبديّ.

لذا، وحتّى وهو منصرف عنّا إلى ملكوته الأبديّ بعدما عبَر سماء عُمرنا في خفّة البرق وانتشاره البهيّ، فإنّ صوته سيظلّ حاضراً ومتألّقاً مثل الوردة المكلّلة بصباحاتها الربيعيّة وهي تغمرنا بأريج حضورها الخفيّ.

وإذا كان محمد شكري قد اشتهر بين أصدقائه ومُجايليه بالدهاء الخارق الذي غيّر مصيره ورفعه من حضيض البؤس إلى قمّة المجد، فإنّه برهن، خلال محنته مع سرطان الرئة، على أنه يتمتّع أيضاً بشجاعة خارقة لم يُفلح أعتى الأمراض وأشرسها في النيل منها ولو لقيد أنملة. ولعمري ما رأيتُ مريضاً قاوم مرضه حتّى النهاية مثله؛ فقد ظلّ، رحمه الله، صامداً مرفوع الرأس إلى أن فارقته الحياة وهو واقف بكبرياء مثل الأشجار.

أقول هذا بحكم معاشرتي لشكري منذ أصابته سهام المرض إلى أن وافته المنية ظهيرة 2003/11/15 .. وأشهد أنّه ظلّ فارساً مغواراً يعارك المرض والموت بنفس العبقرية التي صاحبته طوال حياته وهو يخوض معاركه الضارية مع الزمن الشائه.

وكيف لا، وقد أتقن التألّق في عالم لا يتألّق فيه إلاّ الدهاة والصناديد، حتّى صار اسمه يزاحم عظماء الدّنيا في عالم الأدب، ولو أنه أدّى ثمن ذلك غالياً وعلى حساب صحّته وراحته اللتين أنفقهما في كتاباته كما في لياليه التي لم يكن يحلو لها النوم إلاّ في كأسه.

ولك أقول، في الأخير، أيّها المصاب بالغياب: إنّ صوتك يغمرنا حتّى وأنت في الضفة الأخرى .. صوتك الذي صدح دوماً في سماء ثقافتنا المستنكِفة عن تحرير المكبوت والانخراط في المستقبل.

في تذكر الراحل محمد شكري

أهو زمن الأخطاء أم زمن البهاء؟

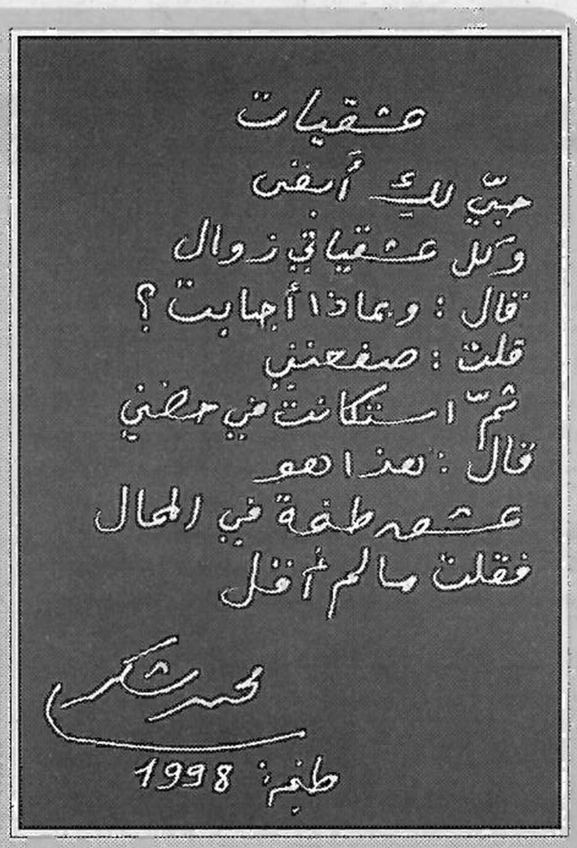
■ إكرام عبدي

كانت بداية اكتشافي لفضاءات الراحل محمد شكري الإبداعية في مرحلة دراستي الإعدادية، حين أهدتني صديقة لي، خفية، الجزء الثاني من سيرته الذاتية «زمن الأخطاء». تسللت آنذاك إلى غرفتي خلسة، وانزويت في ركن هادئ، أتلصص على هذا العالم الغرائبي الفاضح، وأستمتع بنكهة أجوائه، أصيخ السمع لرنات الكؤوس وقهقهات السكارى واعترافات بنات الليل... يعشش في قلبي الخوف من أقبية مظلمة لعالم سفلي أنيط عنه اللثام، ومن رقابة ألامسها في كل ما يحيط بي. رقابة مدمرة تشل كل فكر وتمارس العنف على كل موقف نقدي، وتحول الإنسان إلى مجرد آلة تمارس عليه تدجينا يوميا، عن طريق صنع قوالب جاهزة له وإخضاعه لها بشكل إلزامي وزجري في البيت والمدرسة والشارع. والنتيجة، عقليات منمطة، مشلولة، مدجنة غير قادرة على النقد، ولا خلخلة الثوابت الجاهزة، ولا حتى طرح علامات الاستفهام، وبالتالي غير قادرة على التغيير، وإنتاج معرفة متحررة عن الذات والعالم من حولنا.

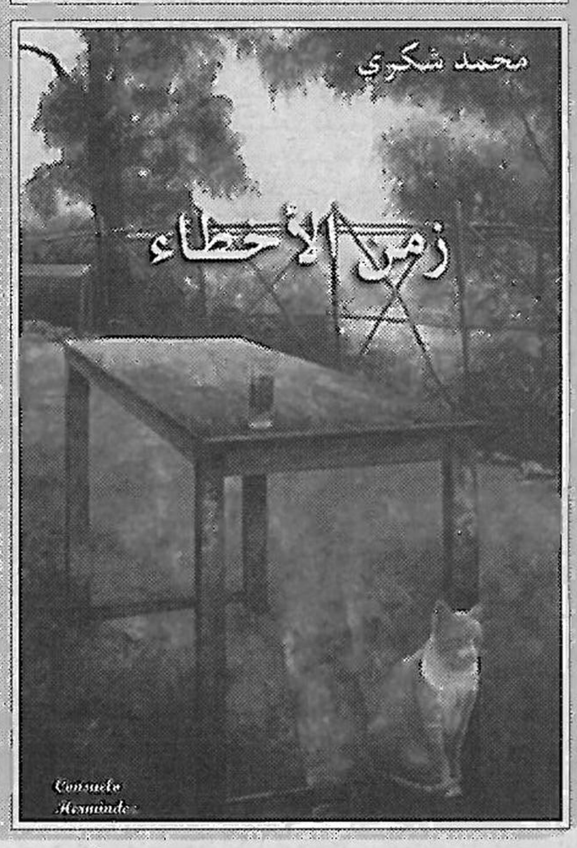
والدليل على ذلك أنني حين فرغت من قراءة هذا الجزء من سيرة محمد شكري الذاتية «زمن الأخطاء» لم أجرؤ، بل حتى لم أقو على طرح أي تحليل نقدي بصددها، أو التساؤل عن مغزى ما كتبه شكري، أو ما يهدف إليه الكاتب من وراء اعترافاته هاته. ولم أجرؤ كذلك على فتح باب الحوار مع والدي عن فحوى الكتاب. فمعروف أن باب الحوار كان موصدا سلفا، بل حتى عملية ا قتناء هذا الكتاب نفسه، بالنسبة لوالدي «جريمة لا تغتفر». لذلك اكتفيت باعتبار ما حكاه محمد شكري في سيرته الذاتية «خدشا للحياء»، و«مخلا بالآداب»، و«منافيا لديننا وللأخلاق والمبادئ» التي شُحنا بها، في البيت وفي المدرسة، منذ نعومة أظافرنا. ولم تنحت في ذاكرتي آنذاك سوى تلك الكلمات الماجنة المبعثرة بين ثنايا سيرة شكري هاته، وكأن ما يمارسه علينا هذا المجتمع من عنف ورقابة وتسلط، يخلق لدينا، بفضول جامح وبرغبة لا واعية، نزوعا نحو كل مسكوت عنه...

ولن أتحدث عن حالة الطوارئ التي تم الإعلان عنها حين تم اكتشاف وجود هذا الكتاب في البيت والتي أظنها لا تختلف عن حالة الطوارئ تلك التي أعلنت من طرف جمعيات أولياء التلاميذ، عام 1983 تاريخ صدور الجزء الأول من سيرته الذاتية «الخبز الحافي»، ولا عن تلك التي أثيرت داخل الجامعة الأميريكية حين اقترحت سامية محرز، الأستاذة الجامعية، تدريس «الخبز الحافي» في المحفل الجامعي.. خلاصة القول، هو أن هذا الكتاب ظلت مفروضة عليه الرقابة الأسرية، حتى مرحلة دراستي الجامعية، باعتبارها المرحلة التي فك فيها الحصار عن الكتاب، ليصبح ملكا مشاعا على رفوف مكتبة العائلة، كما أضحى بإمكاني الاقتراب منه، فكانت هذه هي المرة الثانية التي أقرأ فيها «زمن الأخطاء»، بحرية مشاعة وبفهم مغاير..

أحسست آنذاك بدهشة حقيقية تضاهي دهشة غوته حين قرأ كتاب «فن الشعر» لأرسطو للمرة الثانية، ليكتب لشيلر، يقول له: «إن المرء لا يكتشف كتابا اكتشافا حقيقيا إلا في اليوم الذي يفهمه فيه». فهمت بدوري كتاب محمد شكري، فاكتشفت بالفعل صراحته وجرأته اللامتناهية، وتحرر قلمه، كما انبهرت بحكيه التلقائي، وبشجاعته، وبقدرته على خدش حياء البياض، ونبش كل ماهو «مقدس»، والاقتراب من الكثير من الطابوهات التي ظلت منذ زمن منفية في سراديب المسكوت عنه، «بلغة مغايرة للغة اليوتوبيا التي تعودناها» على حد تعبير محمد برادة. أحسست بمتعة عري وفضح علني نفتقده في جل كتاباتنا وإبداعاتنا، إلا فيما ندر، غبطته على قدرته على الجهر بأخطائه أمام الملإ. تساءلت: أخطاء من هي؟ هل فعلا «أخطاؤه» أم أخطاء مجتمع بأكمله؟ تلك التي جعلت من محمد شكري هامة إبداعية، ومن كتاباته أدبا إنسانيا عالميا؟ وماذا كان ينتظر من كاتب عانى من الاستعباد المزمن لواقع قهري يضج بالمجون والدناءة، أن يقدم سيرته ملفوفة بثوب الطهارة، حتى ينال رضى تلك النزعات التقليدية المتزمتة؟









لقد آثر محمد شكري رضى ضحايا هذا المجتمع الواجب إدانته، وجعلنا نعيش حالة بوح إباحي لواقع لعين، ونسافر في تلك السراديب المعتمة من ذاكرته ليحرك ضمائرنا أكثر مما يثير مكبوتاتنا، متجردا من كل نفاق أو كذب، متحررا من عقدة الخداع، منصبا نفسه الناطق الرسمي باسم المهمشين والمنبوذين والمقهورين. أليس هو القائل: «أنا أنتمي إلى طبقة المهمشين، ولذلك أرد لها الاعتبار من خلال كتاباتي على قدر مكتسباتي الفنية»، ممارسا نوعا من الكاترسيس، مصرحا بأن: «الاعتراف بالخطايا يخفف من الألم، وكتمانها أيضا كفارة (عن كتابه الممتع «غواية الشحرور الأبيض»)، رادا، بذلك، جانبا من التوازن النفسي لحياته التي كانت على شفا حافة من الجنون أو من الموت، كما صرح في أغلب حواراته.

من يجرؤ، إذن، على سرد أخطائه -بل أخطاء مجتمع بأكمله- بصراحة محمد شكري، ويتخلص من كل شوائبه وزيفه؟

أعمال إبداعية متميزة، وكتابات متألقة من الأفضل أن نستمتع بها، ونحتفظ في أذهاننا بصورة مضيئة عن صاحبها، ولا نسأل عن أشياء، إن تبد لنا، قد تسيء إلينا. والراحل محمد شكري من الكتاب العرب القلائل الذين استطاعوا أن يذوبوا تلك الحدود المفترضة بين كتاباته وحياته. فشكري الكاتب هو شكري الإنسان، ظل يعيش الطيبة والشغب الطفولي والجرأة والوضوح والصدق والتوازن النفساني والعشق الصوفي لطنجة، خليلته في كتاباته ومعيشه، على حد سواء. تصالح شكري مع ذاته بعد أن قتل والده، رمزيا، في سيرته الذاتية، في جزأيها: «الخبز الحافي» و«زمن الأخطاء»، وهو الذي كان يأمل أن يقتل سيرته الذاتية «الخبز الحافي» التي تتعقب خطاه الأدبية وتطوقه وتحجب الشمس عن أعماله إبداعية أخرى، هي في مستوى القيمة الأدبية لـ«الخبز الحافي»، أو أهم منها، وتصالح محمد شكري كذلك مع ذاته بعد أن وفى بالوعد الذي قطعه على نفسه بأن يكتب عن المنحطين والمهمشين بشكل سام وبدون خيانة أو خداع، وكذلك ظل إلى أن توفي.

يقول محمد شكري في أحد حواراته لجريدة القدس، في معرض حديثه عن طبقة المهمشين: «مبدئي هو أن لا أخونها (أي طبقة المهمشين) كما لا أخون نفسي». كما تصالح شكري مع ذاته أيضا بعد أن عزم على تعرية العوالم السفلية للمجتمع المغربي وتلك الأغوار المظلمة للنفسية الإنسانية، إيمانا منه بأن التغيير لا يولد إلا من عملية فضح واعتراف. فكيف، إذن، يمكن تغيير وضع إن لم يتم تعريته، وتسليط الضوء على هفواته وزلاته؟ يقول محمد شكري: «لقد صرح لي أحد قراء (الخبز الحافي) بأنه غير معاملته في تربية أبنائه خوفا من أن يشتموه ويحقدوا عليه عندما يكبرون، هذا يعني أن بعض الكتابات الأدبية قد تساهم في تغيير بعض السلوكات، التغيير الذبذبي البطيء وليس التغيير المباشر الموكول إلى العلوم الإنسانية».

فإطلاق صفة «الكاتب العالمي» على الكاتب المغربي الراحل محمد شكري لم تأت اعتباطا أو من فراغ، بل هي صفة جاءت كنتيجة حتمية لمسيرة حياتية وتجربة أدبية ثرية وجريئة وصادقة، لم يستعن فيها محمد شكري بمساحيق التجميل لإخفاء عيوبه وندوبه، والتي هي في الأصل ندوب المجتمع، بل تركها عرضة للشمس، حتى تندمل وتنمحي، ولم يقبر زمن أخطائه، بل أوهمه بالحياة تمهيدا لقتله، وقد غادرنا هو، إلى دار الحق، ليستريح من أخطاء زمنه، في حين بقينا نحن، في دار الباطل، نلوك زمن أخطائنا..

أكمل النجم احتراقه

■ سليم الأحمدي

كان محمد شكري، وسيظل لزمن طويل، كما هي كبريات النجوم التي تبعث لنا بأشعتها على مدى آلاف السنين بعد اكتمال احتراقها...

رحل الطفل من قبيلة بني شيكر، حافيا، يجر قدميه الواهنتين .. يتقيأ الخواء. يبكي لمناظر الغربان المحلقة في الهواء وهي تتصيد فرائسها من ماشية ملقاة على جنبات الطريق، بعد أن فارقتها الروح هربا من جحيم الأجساد العجاف.. هو الابن الأكبر لأم تحاول أن تبعث من القوة والعزيمة في أجساد أطفال، لا قوة لهم على ما حل بالمنطقة من سغب، ما يؤهلهم لمواصلة الرحلة (1).

تحركت القافلة صوب قدم الريف.. حطت رحالها بتطوان، لتبدأ رحلة طفل مع عالم ما اعتادت قسوة ووضاعة منبته أن تصنع عمالقة. محيط قذر بكائنات بشرية لا تمتلك من إنسانيتها إلا النسب .. سُلِبتْ كل شيء حتى صارت مجرد أرقام إحصائية تتناسل وتوسع من دائرة حرمانها .. من الفقر تُوَلَّدُ الفقر .. تعيد إنتاج أقزامها ليبتلعها واقع عنكبوتي ما فتئت.

من أحشاء هذا الواقع أطل محمد شكري، عملاقا، ثائرا يحمل بين يديه نبراس قوم طواهم النسيان، شاقا طريقا وعرة في بحثه عن إنسان شفاف لا تحجبه الستائر ولا تختفي صورته في الظلام، عابرا بهم آفاقا ظلت موصدة في وجوههم، وداخلا بهم في فضاءات أقصتهم وتجاهلتهم .. إن شكري صاحب الخبز الحافي أو اللعين الذي أطبق على عنقه كعاهرة -كما يحلو له أن يسميه- قادم من عمق الحثالة بقوة البوح وعزيمة التصدي، يشق أسيجة القهر والإقصاء، يصرخ بقوة في وجه من سلبه طفولته، يعري سريرته .. يصنع من الوضاعة سموا ومن المعقد بساطة، ويواجه طواحين الإقصاء على اختلاف أشكالها، مدافعا عن واقعيته "القذرة"، مخترقا حواجز الصمت والكتمان، عابرا إليها من ضفة نُفي إليها فارتد صداه مدويا، راجعا نحو منبعه، حاملا معه طهر إنسان من عالم متسخ.

كبر شكري، تجاوز دائرة الخبز الحافي، وتوسعت آفاقه فغطى بظلاله الثابتة والوارفة فضاء الأدب المكتوب باللغة العربية .. خلق من المتاهة واحة تُوِّج فيها بما ملكت دماؤه من أسئلة ..

في طنجة أيقظ انتباه الليل، نفض عن كائناتها النسيان ونفض غبار زمن الأخطاء فيها .. رفض أن يكون أديب غيرها (2)، فاتخذها عروسته الأبدية، ولم يرض لها ضرة أو خليلة .. أرادها شفافة لنفسه كما امرأته المشتهاة. أنارته أضواؤها وهدته إلى متاهاتها كما أنارها وأهداها للقارئين وقدم وجوهها.

هو ذا شكري، الشحرور الأبيض، قد خط مساره بعيدا عن الأضواء مع أول ركوب للحرف في بداية عشرينياته، يوم كان القلم يسمو بماسكه مهما كانت طويته وطينته .. ولم يكن هو من طينة عادية، بل من كبار الأدباء العالميين كان .. دافع عن انتمائه الإنساني، عن عذاباته وعن وعيه بنفسه ومحيطه، عن صراحته التي تستفز الضمير. بنى عالمه، أسلوبه، وجدد كما بنى ذاته .. عاش "نفسه" في سموها، صلبا، جسورا، مقدما لنا كل شيء من غير أن ينال منا شيئا .. جال بنا العالم على اختلاف أركانه وأثار حولنا تساؤلات عديدة ومتجددة.

رحل رحلته الأولى من غير أن يهجرنا .. من غير أن تنال منه شهوة النسيان التي تنال من الأموات؛ فعلى قبره ترقد السماء برحابتها، والبحر يمتد حوله أفقا للكشف وإعادة الاكتشاف.

هامشان:

1-هكذا وصف شكري خروجه من قرية بني شيكر في إحدى حلقات البرنامج المفتوح لإذاعة BBC) القسم العربي) صيف 1992، حيث استُضيف على هامش لقاء دولي للكتاب العرب بلندن .. وهو السبب ذاته الذي دفعه، في إحدى زياراته للمنطقة في أواسط التسعينيات للقول بأنه لا يشعر بأي حنين لمسقط رأسه .. حيث صرح في إحدى ندواته بالرباط -بعد أن أوَّلَ كلامه- بأنه يقصد ما ترسب في ذاكرته من مأساة يوم الرحيل وليس انتماءه الذي يحمله معه، ولم ولن يفارقه أينما حل وارتحل.

2- جوابا على سؤال قدم له من طرف إحدى الجرائد: " هل أنت كاتب عربي أو ريفي؟" قال: أنا كاتب طنجاوي .. وكان قد أسيلَ مداد كثير حول هذا الرد من طرف من يهوون مغازلة الألفاظ قبل أن يصححه شكري نفسه، في ندوة لاتحاد كتاب المغرب بمهرجان الرباط عام 2001، حيث قال إنه يقصد من عبارة "كاتب طنجاوي"، أنه يتخذ من طنجة موضوعا وفضاء لكتاباته، فهي المدينة التي يحمل في أحشائه ذاكرتها، إذ لا يستطيع أن يكتب عن الدار البيضاء أو الرباط أو الناظور لمجرد أنه زار هذه المدن .. أما عن "الريفية"، فهو ريفي ويعتز بانتمائه كما جميع سكان العالم، ويعتبر نفسه طفلا محظوظا قد رضع من ثديين.

كلمة جون استيبت

شكل الظهور المفاجئ لرواية "الخبز الحافي" حدثا لا نظير له في الحقل الروائي بالمغرب. فالسيرة الذاتية لمحمد شكري حملت ترجمة واضحة لقصة حياة قاسية ، وأبرزت ملامح صراع صبي من أجل البقاء في ريف محتل من طرف القوات الإسبانية، وفي مدينة طنجة الصعلوكة/الوغدة الدولية. إن "الخبز الحافي" هو الوجه الآخر لآخر حلم استشراقي، فمحمد شكري يروي فيه عن مدينة طنجة التي كتب عنها العديد من الأدباء إلا أن مَنظورَه كان ذا وجهة مغايرة، كان المرآة الأخرى لمدينة طنجة. إنه انتقام ماسح الاحذية، ذلك الفتى الذي كان يفتح أبواب سيارات الأجانب أو يقوم ببعض أعمال السرقة. أعددنا مع شكري حوارات عديدة في حدائق فيلا دو فرانس Villa de France المندثرة، في شقته المطلة على سينما ريو Rio، في حانة جينييا Geneina أو في حانة نيكريسكو Negresco، ذلك المكان الذي تقول أفواه السوء إن شكري يقضي فيه من وقته أكثر مما يمضيه ببيته.

ترجمه بتصرف: نبيل وهبي

حوار مع الكاتب محمد شكري

في نهاية الحلم الاستشراقي

جون استيبيت: كتابك يروي لنا عن الحياة اليومية خلال مرحلة الاستعمار.

محمد شكري: أصبت! فأنت تشير إلى المرحلة بصفتها استعمارا ، كان ذلك حالها ولم تكن مرحلة حماية؛ لأنه لو كنا نصف تلك المرحلة بأنها مرحلة الحماية لغادر الفرنسيون والإسبان المنطقة مباشرة بعد أربعة عقود أي بعد نهاية مدة الاتفاقية. فعلى العكس من ذلك، استمر الاستعمار قائما، مما أوجب علينا تنظيم مقاومة أرغمتهم "أولاد العاهرات" على المغادرة. وأنا هنا لا أتحدث عن الشعوب بل عن الأنظمة، نظام فرانكو ونظام فرنسا الاستعماري.

في الريف كان الفقر المدقع، وكانت المجاعة المستديمة سببا في موت العديد من السكان. أذكر أن عائلة من جيراننا، وبسبب انعدام الطعام، انتحرت في عقر دارها مقفلة أبوابها ونوافذ منزلها بالطوب. وعندما تمكن أحد السكان ولوج هذا المنزل وجد جميع أفراد هذه العائلة وقد فارقوا الحياة. والدي اغتال شقيقتي الصغيرة لأنها لم تكن تكف عن البكاء، وبدافع الغضب الذي ألمّ به، حيث لم يكن لديه قط ما يعطيها، ضغط عليها بيديه في عنقها. وبعد يومين من هذا الحادث غادرت شقيقتي الصغيرة الحياة. منذ ذلك الحين وأنا أكنُّ لوالدي كرها كبيرا.

ج.س: كيف كانت علاقاتك بالمحتلين؟

م.ش: لقد تناولت الطعام مرات عديدة مع إسبان فقراء في حومة سان أنطونيو بتطوان، خصوصا مع الغجر منهم، وقد كنت دائما أدافع عنهم. كانوا جيراننا لنا، وكانوا يعيشون في ظروف مادية صعبة، كما كانت أبوابهم دائما مفتوحة أمام عائلتي وأمام العديد من الغجر الآخرين. أتذكر من الجالية الإسبانية الطبقة المهمشة منهم، كماسحي الأحذية، والنشالين واللصوص، مجمل القول، أناسا كانوا يبحثون عن رزقهم اليومي. وحينما انتقلنا إلى طنجة، كان جيراننا من الإسبان أيضا. وكانت علاقاتي مع الإسبان متميزة عن تلك التي كانت تربطني بالجالية الأخرى من أجانب المدينة. لم تكن هناك فوارق في العلاقات التي كانت تربط المهمشين في المجتمع.

هؤلاء، عندما غادروا المغرب، اصطحبوا معهم حتى نوافذ ديارهم، ولم يأخذوا معهم الأبواب لأنها كانت ثقيلة. لم يدعوا شيئا إلا وأخذوه معهم، كما أنهم لم يبنوا الشيء الكثير في المدينة. في حين، كانت تركة الفرنسيين جد مهمة، خصوصا على المستوى الثقافي. فإسبانيا كانت تعيش أزمة ما بعد الحرب. مما لا شك فيه، "لو كان الخوخ كيداوي كان داوى راسو".

إن شخصا مثلي، ينتمي للطبقة المهمشة من المجتمع، لم يكن مسموحا له بولوج الفضاء الحضري للمدينة. لم تكن لي علاقات بالطبقة المتميزة في المجتمع. وقد منع علينا دخول مجموعة من المقاهي والحانات التي اقتصرت على المغاربة المتعاونين مع الأجانب وأفراد العائلات الثرية. غادرت منزلنا وعمري لا يتجاوز 11 سنة، حينما اغتال والدي شقيقتي الصغيرة. كنت أبحث عن الخبز اليومي. كانت المقابر فراشا لي حينما كنت أختبئ من دوريات الشرطة الليلية. عشت على هذا النحو إلى أن بلغت سن العشرين. كان عملي يقتصر على غسل الأواني، وقمت بأعمال السرقة، وكنت اصطحب، في زورق، السكارى من الأمريكيين الذين يتأخرون عن الزورق الذي يقلهم نحو بواخرهم ، فيهدون لي بعض السراويل وعلب السجائر. وكنت أيضا أتعاطى لتهريب السلع. أتذكر يوما أني بعت بعض السجائر "لأنطونيو ماشين" الذي كان يغني في حفلات بمسرح سيرفانتيس. طلبت يوما مكتوب خط من "سارا مونتييل". فولعت بعوالم الليالي، ومنذ ذلك الحين وأنا أمقت وضوح النهار، لقد تركت النهار للأنامل البشرية.

ج.س: من الصعب التصديق أن كاتبا مثلك ظل أميا حتى بعد سن المراهقة. كيف وما الذي أعانك على تعلم فن الكتابة؟

م.ش: كان الأمر بالنسبة لي تحديا. كنت أقتني المجلات لأتمتع بصور المغنيات الكبيرات والفنانات المصريات، أم كلثوم، أسمهان، فاتن حمامة، كنت أجلس في المقاهي، وفي كل يوم أجد شخصا يتلو عليّ ما كتب في هذه المجلات. أتذكر أنني يوما، وبينما كان يجري نقاش سياسي حول جمال عبد الناصر، أردت المشاركة فمنعني أحد الجالسين من ذلك. قال لي: كيف تجرؤ على المشاركة في نقاش موضوع ذي أهمية قصوى وأنت لا تعرف كتابة حتى اسمك؟ خرجت توا إلى الشارع فاشتريت كتابا في الصرف والنحو. بعد ذلك مباشرة بيومين ، حفظت جميع حروف الأبجدية. وبعد مرور السنين، اشتغلت كحارس بمدرسة في العرائش، ويجب أن أبوح هنا بأنني تعلمت واستفدت من التلامذة أكثر مما استفدته من الأساتذة والمعلمين. وبعد ذلك بسنوات ، تقدمت لولوج امتحانات سلك التعليم فنجحت. قمت بمهام التدريس في حومة كاسا باراطا، وهي حي شعبي فقير في طنجة حتى أن الصبيان كانوا يمشون به حافيي القدمين. كانت فرحتي عارمة، لدرجة أنني اشتريت فراشية للذهاب بها مفتخرا في أول يوم ألج فيه مهنة التدريس. أتذكر أن الأطفال كانوا يضحكون علي ويهتفون بصوت عال: "أستاذ نادل، أستاذ نادل!"، وحتى يومنا هذا، حينما ألتقي بتلامذتي القدماء ينادونني، أستاذ نادل!.

ج.س: أتخيل أن الحاجة النفسية للتعبير عن حياتك الشخصية، و"التعزيم" على كل ما عشته، كان الدافع الأساسي للخوض في عالم الأدب.

م.ش: كنت أجلس دائما خلال ساعات طويلة في مقهى يؤمه كاتب في منتهى الأناقة، ببذلته الجذابة، وبربطة عنقه الفراشية، وكان الناس يكنون له تقديرا واحتراما كبيرين. فقمت يوما باشتراء رواياته، وقرأتها في ليلة واحدة، لكنها تنال إعجابي؛ كانت قاذورة أدبية، روايات قصص غرامية، فقلت في نفسي: أستطيع أن أكتب ما هو أفضل من ذلك. كان ذلك تحديا آخر، أردت به أن أبرهن لنفسي أنني قادر على أن أصبح كاتبا، فكانت الكتابة بالنسبة لي انتقاما من كل من سلب مني طفولتي، من الطبقة الاجتماعية التي كنت أنتمي إليها، ومن عائلتي.

كنت أقرأ كثيرا، وكنت أملك قرابة ألف كتاب. شرعت في الكتابة، غير أني لم أكن راضيا على نتائجها، فكانت حسرتي كبيرة، وقررت شرب كتبي؛ كنت أبيع الكتاب تلو الآخر لشراء قارورة خمر، فشربت مكتبتي كلها. أنقذت كتابا واحدا لروس دي كاسترو كان عنوانه: في العمق كله، تفكيري. أتذكر أني ذهبت يوما إلى حانة وهددت صاحبها قائلا: إن لم يحضر رجال المطافئ، فإنني سأكسر جميع القارورات. لحظات بعد ذلك أتت سيارة الإسعاف فأخذتني نحو مستشفى الحمقى. كان يكفيني أن أمكث هناك أسبوعا واحدا فقط، غير أن إقامتي دامت عدة أشهر. نكحت خلالها جميع الفتيات الحمقى، الصبيات منهن والعجائز. أتذكر أيضا ذلك الأحمق الذي كان يصر على أن أهدي له جلبابة بيضاء ناصعة، لأنه مقبل على استقبال السلطان نفسه الذي وعده بذلك. قمت بذلك، غير أنه في اليوم ذاته، لطخها بالدماء إثر مشاجرة له مع أحد الحمقى. أتذكر أيضا شخصية أبراهام، يهودي سمين، كان يشتكي دوما من أن باقي الحمقى يغتصبونه كل ليلة. فاجأته ذات يوم وهو يقوم بالعادة السرية متخيلا عاشقته، يهودية حسناء اسمها استريريا. كانت تحدث هناك قصص وروايات غريبة. لن أنسى تلك الليلة التي قام فيها أحمق بشنق آخر في حين انبرى الباقون للتصفيق عليه بحرارة.

ج.س: روايتك "الخبز الحافي"، تروي لنا قصصك الأولى في تطوان وطنجة، وقد قام بول بولز بترجمتها إلى الإنجليزية، لذلك يعتبرك الكثيرون مثل محمد المرابط، راوي القصص الشفاهية التي تمت ترجمتها من طرف الكاتب الأمريكي.

م.ش: نعم، لديهم خلط كبير في مخيلتهم، حتى أن الطاهر بن جلون، قبل قراءة روايتي باللغة العربية، اللغة التي أكتب بها، كتب مقالا غبيا مصرحا بأن محمد شكري كان يروي قصة حياته لبول بولز، وهذا الأخير ينكب على كتابتها. فرد عليه رئيس اتحاد كتاب المغرب محمد برادة: شكري لم يرْوِ قصة حياته لبول بولز. شكري له رواية كتبت باللغة العربية، وإن أردت، قمتَ بقراءتها وترجمتَها إلى الفرنسية. فطلب مني بن جلون المخطوط وقام بترجمته الى اللغة الفرنسية.

أجل، هناك خلط كبير في هذه الأمور، والسبب في ذلك راجع إلى الترجمة الغريبة التي قام بها بول بولز. صديق لنا نحن الاثنين، إدوارد روديتي، عرفني عليه واقترح عليه ترجمة إحدى قصصي. فنالت كتاباتي إعجابه، وبما أن بولز لا يفهم وبالطبع لا يعرف قراءة اللغة العربية، تلا عليه إدوارد الكتابات بالإسبانية فترجمها بعد ذلك إلى اللغة الإنجليزية. ولذلك، يظن الكثيرون بأنني من الرواة الشفاهيين، أمثال المرابط، ولست كاتبا. و لا أعني، بقولي هذا، أنني أحسن أو أقل من المرابط، كلانا له تعبيره، ولا يجب المزج بين الكتابة والرواية الشفاهية. ويجب أن أركز هنا على أن التعبير باللغة العامية ينطوي على عدة صعوبات، وقد يمثل عملا إبداعيا مهما جدا.

لم يعلمني بول الكتابة، غير أنه علي أن أعترف بأن تجربته وهبت لي كثيرا من أسباب الاستمرار في العمل الأدبي. وأظن أيضا أنه أولى اهتماما كبيرا لترجمة روايتي الأولى، لأننا كنا نحن الاثنين يجمعنا نفس الشعور بالكره والضغينة ازاء شخصية الأب، وعانينا الكثير من ذلك. إن العذاب الذي قاساه بول كان نفسانيا أكثر مما كان جسديا. فأبوه لم يكن يضربه كما فعل بي والدي الذي كان يشدني كما تشد الأرانب، فيعلقني على شجرة وينهال علي بالضرب بحزام من الجلد احتفظ به عندما كان جنديا في القوات الإسبانية. كما كان يصفعني مرات كثيرة بكل ما يحمله من قوة، وكذلك كان يفعل بعصاه. إن شخصية الأب تظل حاضرة في كتاباتي لأنها تمثل قسطا وافرا من حياتي الشخصية ومسار حياة العديد من المجايلين لي. لقد عانيت الكثير بسبب أبي. وعليّ أن أعترف أيضا أنني ألاحظ وجود تغير جذري وتحسن هام في علاقة الآباء بأبنائهم، فهم الآن أكثر سماحة، وتربيتهم لأبنائهم أحسن بكثير من التربية التي تلقاها جيلنا من آبائه، كما أن المستوى المعيشي في المغرب في تحسن مستمر. عندما يكون الفقر قائما تكون الأمور مختلفة ومغايرة. فتبرز حالات عدم التفاهم وحتى البغض والكره. ذلك ما حدث لي.

ج.س: كانت لديك فرصة التعرف، بله معاشرة أهم الكتاب الذين عاشوا في طنجة حينما كانت مدينة دولية. فكتبت كتابا عنونته، جان جونيه وتينيسي وليامز في طنجة، كيف تعرفت على جان جونيه؟

م.ش: قرأت العديد من المقالات حول كتاباته، عكس كتبه، التي لا تزال إلى يومنا هذا محظورة في كل الدول العربية. إنهم يعتبرونه كاتبا لا أخلاقيا، ليس لأنه كان لصا، ولكن لشذوذه الجنسي، والحال أن العرب أشد الشعوب شذوذا جنسيا. ينصرفون بشواذهم الجنسيين خلسة وينكرون ذلك. لا يمتلكون القدرة على القيام بتحليل أو نقد ذاتي. في القديم كان الأدب العربي أشد جرأة وصراحة من الأدب الأوروبي. فحينما تقرأ أشعار وقصائد العرب في الجاهلية وفي مرحلة ما بعد الجاهلية خصوصا خلال عهد هارون الرشيد وفي الأندلس، يسترعي انتباهك تفتح الثقافة العربية بعيدا عن التعقيدات الاجتماعية والدينية، ومباشرة بعد هذه المرحلة، بدأنا في التقهقر يوما بعد يوم.

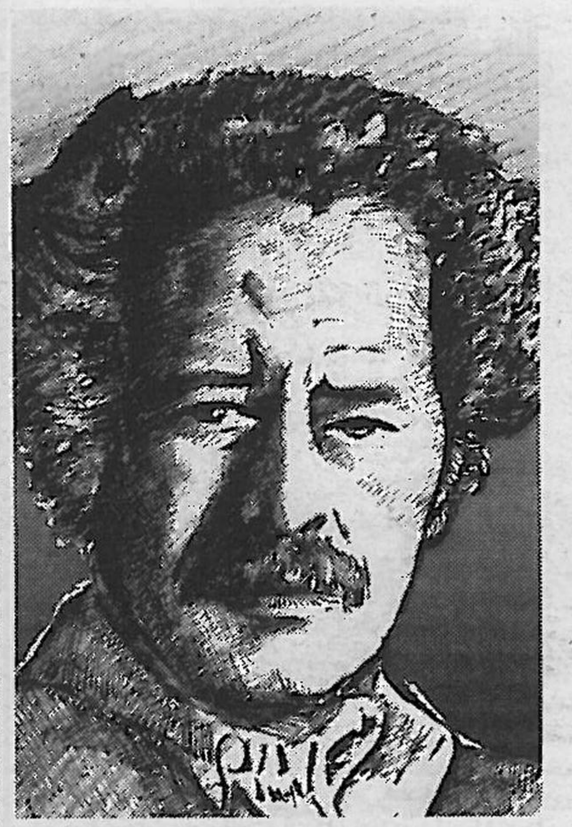
أنا لست لوطيا. لم أقم بعلاقات جنسية لا مع جونيه ولا مع تينيسي ويليامز ولا آلان جينيسبرغ، ولا ويليام بوروز أو بول بولز. لم أعر اهتماما لميولاتهم الجنسية. وعلاقاتي بهم كانت اجتماعية وإنسانية. كانوا يقدرون بعض جوانب شخصيتي وكنت أنا كذلك أقدرهم. فمثلا ، على الرغم من معاناته من الفقر كان تينيسي ويليامز ينكر دوما أصوله، ويحس بالخجل من ذلك. أما جنيت، فكان مختلفا، وكان يتحدث بلغة عامية عربية جد مشوقة تتخللها كلمات بالعامية الجزائرية. كانت تجمعنا أمور كثيرة. كنا نحن الاثنين لصين،بوهيميين ومشردان. كان جان جونيه رجلا عاديا يمقت ويكره نفس الأمور التي أكرهها، وذلك كان دافعا مهما لحميمية علاقاتنا. كنا نقضي الساعات الطوال في مقهى نناقش مواضيع تهم المجتمع المغربي والسياسة. في حين، كان تينيسي يعشق السهرات والأمسيات البرجوازية، و يجد متعة في إثارة البلبلة والضوضاء. لقد كان لكل واحد منا منظوره المختلف.

على العكس من ذلك كانت علاقتي بجان جونيه كنا نجلس لنتناول الغذاء على الساعة الواحدة زوالا بعد الزوال وننتهي على الساعة التاسعة مساء، نجول بين حانات نزل باريس، نزل فرنسا، المنزه أو في حانة نيكريسكو. . كان جونيه حينذاك قد اعتزل الكتابة، وشغف بالتبصر والحديث. أتذكر ليلةً تأخرت فيها عن موعدي معه بنيكريسكو ، فترك فوق الطاولة التي لازمناها لساعات طويلة جريدة "فرانس سوار" وقارورة خمر وقال للنادل: لا تدع أحدا يأخذ الجريدة أو القارورة حتى يأتي السيد شكري ولو طال الانتظار أسبوعا بأكمله! لم أره منذ ذلك الحين. أراد أن تُدفَن جثته بالعرائش وكذلك كان الأمر. كانت له شخصية عجيبة. وقد أصيب عاشقه بمس من الجنون حين غادر جونيه الحياة، كانا قد تبنيا طفلا قيل بأنه فلسطيني، وهذا غير صحيح. كانت تلك هي الطريقة الرمزية التي أراد بها جونيه أن يكرم مصير شعب عزيز لديه. قلت، بعد وفاة جنيت، صار عاشقه مدمنا على الخمر، وكان يصطحب معه الطفل الفلسطيني لزيارة قبر جونيه. وفي يوم من الأيام اصطدمت سيارته بشجرة قرب مدينة أصيلا. بدون جونيه، صارت حياته عديمة المعنى.

ج.س: ما هو شعور رجل ريفي في طنجة الدولية، مدينة الفنانين، والأثرياء والمغامرين والعصابات والجواسيس؟

م.ش: كنت مجرد ملاحظ، وفي آخر أيام طنجة الدولية كنت قد دُعيتُ لحضور بعض الحفلات. أردت اكتشاف ذلك العالم فلم يرقني. ما ألوم عليه كل الأجانب الذين عاشوا بطنجة لردح طويل من الزمن هو انعدام حس الموضوعية في كتاباتهم. لقد كان المغربي ثانويا في مواضيعهم. إنهم لا يحللون الشخصية المغربية، فتراهم يتحدثون عن حمالي أمتعة الفنادق، عن النادل المسكين، والنادل القوي الجثمان الذي نزواتهم الجنسية. لم يكن المغاربة سوى أدوات للتأثيث والتزيين. هؤلاء الكتاب لم يعيروا أي اهتمام للمغاربة، وأغلبهم كانوا يقصدون المغرب لقضاء عطلهم والاستمتاع بها، أما البعض الآخر فلإنهاء رواياتهم. وحتى بول بولز الذي استقر هنا وعاش بهذه المدينة منذ 1931 بإيعاز من جيرترود شتاين، يعترف بأنه لا يعرف جيدا المجتمع المغربي. بالنسبة لبول بولز، انتهت طنجة مع استقلال المغرب. إن كتاباته جد فلكلورية ولم تحلل أبدا المجتمع المغربي، وأستثني روايته "دار العنكبوت"، حيث حاول نهج الكتابة السياسية. ليست لديه فكرة واضحة عن البلد.

كانوا يروون دائما عن قصص بدائية، ويجدون الراحة في ذلك، فاقتصروا على مواضيع فلكلورية غريبة. ولم يذرفوا



دمعة واحدة على المشاكل التي عانى منها المغاربة. فمجيئهم إلى المغرب شبيه بدخول رجل إلى قاعة السينما لمشاهدة فيلم مغامرات، لرؤية ذلك القرد الذي ينط ويقفز من شجرة لأخرى، وبالطبع فالقرد هو ذاك المغربي. هذا ما كنا نمثله بالنسبة للأجانب، قردة ليس إلا.

وخلافا لذلك، أكن تقديرا كبيرا لكُتاب مثل صامويل بيكيت أو مورافيا. كنت أحب عزلة بيكيت الإختيارية وابتعاده عن مجالس الدهون والشحوم. أتذكر يوما، وأنا جالس في إحدى قاعات الشاي، أنني رأيت بيكيت وزوجته وهما يملآن خانات الكلمات المتقاطعة، وكيلا أضايقهما في تلك اللحظة المهمة بالنسبة لهما، أثرت عدم السلام عليهما . بعد مرور ثلاثة أيام التقيت بهما فجرى بيننا الحديث التالي: مرة أخرى في طنجة؟ ماذا تفعلان هنا؟ فرد علي بيكيت: نعيش اللحظات اليومية العادية. لم أجرؤ يوما أن أستغل شهرة الكتاب الأجانب الذين يزورون طنجة، فلهم شخصيتهم ولي شخصيتي. كانوا يحترمونني لأنني لم أكن كتلك الإسفنجة التي تمتص الشهرة والنجاح. أنا كالقط، إن ناديته لن يسرع للوقوف أمام رجليك. لا ألبي الدعوة دوما. لدي كرامتي.

خلال مرحلة الإستعمار، كانت طنجة مدينة متفتحة جدا وحيوية وكوسموبوليتية. لكنني لم أشعر أبدا بأي بحنين لتلك المرحلة، لأنني عشت في الوحل. مضى زمان طنجة الدولية. بفضل الإستقلال ذهبت للدراسة في العرائش فصرت معلما، وبعد ذلك كاتبا.

إن طنجة مدينة إن لم تعرف كيف تتعامل معها فقد تحطمك. رأيت بها أثرياء كثيرين فقدوا ثروتهم، وكتابا وفنانين بارعين تاهوا في هذه المدينة. لقد تغيرت طنجة كثيرا، والطنجيون أضاعوا كل ما كان لديهم. سعادتهم تتلخص في الإستماع إلى أغاني أم كلثوم بينما ينكب أبناء الداخل على شراء كل ما يمكن شراؤه. إن الطنجاوي أسته على الحَجرة، وعيناه تسبحان على الشاطئ بينما أذناه تلتقطان الإشاعات.

أتذكر تلك الأيام التي كنت خلالها نازلا بفندق بالسوق الداخل. كنت أرى دائما تلك الفتاة الإسكندنافية التي لا تغادر غرفتها ولم تتناول الطعام أبدا مع نزلاء الفندق. قلقت لحالها، فسألت عنها صاحبة الفندق فردت علي قائلة: مرت عشرة أيام والفتاة لم تتوصل بالنقود من عائلتها، ليس لديها حتى ما تؤديه وتنفقه على مصاريف مكوثها بالفندق. هل تعرف ما هو قوت يومها؟ الخبز والخمر. تشتري قنينة خمر فتفرغها في صحن ثم تغمس الخبز فيه. إنه أمر مؤسف! حدث هذا في الستينات. ذات ليلة، وبينما كانت تصعد أدراج الفندق نحو غرفتها دعوتها باللغة الإنجليزية لتناول العشاء صحبتنا. فوافقت على ذلك. كانت فتاة جد حساسة وخجولة. وقد بدت سعيدة للغاية. لم تظن بأن أحدا قد يهتم بها. كانت جد جائعة، فتناولت معنا العشاء وشربت الخمر حتى احمر خداها. استعادت قواها، كان عمرها 22 سنة. بعد تناول العشاء، قصدَتْ غرفتها بعدما ودعت الجميع. في اليوم الموالي لم تفتح البابَ للمنظفة، هذه الأخيرة، وبسبب قلقها، روت ما حدث لصاحبة الفندق فردت عليها:

البقية ص14

الحرب الكيماوية في الريف (1921-1927)

ماريا روسا دي ماداریاغا _ كارلوس لاثارو آفيلا

تقديم المترجم:

نقدم فيما يلي الحلقة الثانية من الترجمة العربية للدراسة التي قامت بها المؤرخة الإسبانية ماريا روسا دي ماداریاغا بالاشتراك مع الكاتب كارلوس لاثارو آفيلا والتي ظهرت في المجلة الإسبانية Historia 16 في عددها رقم 324 الصادر في شهر أبريل الماضي تحت عنوان(Guerra quimica en el Rif صفحات 50-85). وقد كانت الحلقة الأولى مقدمة حول تاريخ استعمال الغازات السامة منذ الحرب العالمية الأولى. كما حاول الكاتبان الإشارة إلى أهم الدراسات والبحوث (وكذلك بعض الإشارات في مجال الأدب الإسباني) التي تناولت موضوع الغازات في حرب الريف. ثم تطرق المقال بعد ذلك لأهم أنواع الغازات المستعملة، وخاصة غاز الإيبريت أو غاز الخردل gas moutarde الذي استعمل بكثافة في الريف. لكن يبدو هنا أن الكاتبين يحاولان بكل الطرق التقليل من حجم الجريمة التاريخية للاستعمار الإسباني في استعماله للغازات السامة، تارة من خلال اتهام الريفيين بامتلاكهم هم أيضا للغازات، وتارة من خلال تبرير الهجوم الكيماوي الإسباني "بوحشية" الريفيين في أنوال والعروي ... وهو ما جعل الكاتبين يسبحان في عدد لا متناهٍ من الفرضيات والاستنتاجات المتسرعة، وهذا ما سيتضح في هذه الحلقة والحلقات المقبلة.

تشير وثائق القسم التاريخي العسكري بمدريد إلى الغازات السامة أحيانا بمصطلحات مبتدعة مثل "قنابل إكس" أو "قنابل خاصة" أو "قنابل إضاءة" لكنها أيضا تشير إليها مرات عديدة بشكل مباشر، إما عن طريق تسمية الغاز كالإيبريت والفوسغين والكلوروبيكرين، أو أحيانا أخرى بطريقة تصنيفية دون تسمية الغاز باسمه. إلا أن مختلف أنواع القنابل كانت تظهر تحت أرقام سرية يشير كل واحد من هذه الأرقام إلى محتوى كل قنبلة وكذا وزنها. وقد كانت هذه الأرقام كالتالي: س-1 (إيبريت 50 كيلوغرام)، س-2 (إيبريت 10 كيلو)، س-3 (فوسغين 26 كيلو)، س-4 (كلوروبكرين 10 كيلو)، س-5 (إيبريت 20 كيلو). وتجدر الإشارة إلى أن الأنواع الأخرى من القنابل التي لم تكن محملة بالغازات السامة كانت تحمل أيضا أرقاما استدلالية: كانت القنابل المرقمة بالحرف "أ" تشير إلى قنابل الترليت والأماتول القوية الانفجار (أ-1، أ-2، أ-3)، ثم ب-1 (وقود 7 كيلو)، ب-2 (فوسفور 1 كيلو)، ب-3 (خراطيش).

بعد كارثة أنوال وسقوط القيادة العسكرية في مليلية في يوليوز وغشت من سنة 1921، بدأت تتعالى في إسبانيا (في الصحافة والبرلمان) أصوات تنادي باستعمال جميع الوسائل الضرورية بما فيها الغازات السامة للقضاء على حركة عبد الكريم والسيطرة الكاملة على المنطقة بواسطة السلاح وإلحاق هزيمة قاسية بالريفيين. ففي مقال في جريدة "المراسلة العسكرية" La Correspondencia Militar (5 شتنبر 1921) تأسف النائب البرلماني كريسبو دي لارا للبطء الحاصل في تنظيم الطيران العسكري، ولعدم البدء في استعمال الغازات السامة بعد. وفي مقال آخر صدر يوم 10 أكتوبر، أكد نفس الكاتب على ضرورة جلب طيارين أجانب يتوفرون على تجربة واسعة في الجيش ويكونون قد شاركوا في الحرب العالمية وذوي حنكة في الهجوم والقصف بالقنابل السامة. ونجد نفس النبرة في جرائد أخرى، بما فيها الصحف الأكثر ليبرالية مثل Heraldo de Madrid والتي كانت تحث على استعمال الغازات. يبقى التساؤل المطروح هو: متى تم اتخاذ القرار باستعمال الغازات السامة في حرب الريف؟ في مراسلة تلغرافية بين وزير الحرب بيثكوندي دي إيثا وداماسو بيرينغير بتاريخ 12 غشت 1921 (ويذكرها خوان باندو في كتابه "التاريخ الخفي لأنوال")، يقر الوزير فيها بأنه قد تم البدء في اقتناء معدات حربية توجد من بينها مكونات للغازات السامة قصد تصنيعها في مليلية. ويجيب بيرينغير الذي كان دائما ضد فكرة استعمال هذه الأسلحة ضد الريفيين بأنه سيستعملها انتقاما لما فعله الريفيون. يبدو واضحا إذن أن قرار استعمال الغازات يعود إلى غشت 1921، أي أياما قليلة بعد المجزرة التي تعرض لها الجنود الإسبان في التاسع من نفس الشهر في جبل العروي. غير أنه لا يبدو أن هذه الغازات قد استُعملت بالفعل خلال الأشهر الموالية لأن الصحف استمرت في المطالبة باستعمالها. كان هذا القرار بالتأكيد مدفوعا برغبة في الانتقام لدى الجيش وأيضا لدى أوساط معينة داخل الرأي العام بسبب المجازر التي ارتُكبت في سلوان وجبل العروي. كانت هناك أيضا رغبة قوية في إنهاء تلك الحرب في أقرب وقت ممكن وذلك باللجوء إلى الأدوات العسكرية الحديثة مهما كانت محظورة. أو لَمْ تحاول جريدة Heraldo de Madrid تبرير استعمال الغازات السامة بالقول "لماذا نعتبر قتل شخص ما بمحاصرته بغازات سامة خانقة أشد وحشية من تشتيت جسمه بقنبلة يدوية؟". لكن إذا كان قرار استعمال الغازات السامة قد جاء بعد هزيمة الجيش في الريف في صيف 1921، يحق لنا التساؤل: ألم تكن إسبانيا تمتلك قبل ذلك التاريخ نوعا ما من الغازات حتى ولو لم تستعمله؟ هذا على الأقل ما يمكننا أن نفهمه من خلال بعض الوثائق الريفية الموجودة في وزارة الخارجية الفرنسية. ففي رسالة وجهها القايد حدو بن حمو لعبد الكريم بتاريخ 31 غشت 1921، يطلب منه عدم إطلاق سراح أي أسير إسباني، وبالأخص الجنرال نافارو، لأنه إذا تم إطلاق سراحهم فإن الإسبان "سيدمروننا بغازات مسممة". تدل هذه الكلمات على أن الريفيين كانوا يتوفرون على معلومات مفادها أن الجيش الإسباني كان يخطط لاستعمال غازات سامة ضدهم. لكننا لا نعلم إذا كان ذلك راجعا لمحاولة الإسبان الحصول على هذه الغازات أم لأنهم كانوا يمتلكونها قبل ذلك بالفعل. وقد أشار القايد حدو بن حمو إلى قضية الغازات هذه في مناسبات أخرى. ففي رسالة منسوبة لهذا القايد موجهة إلى عبد الكريم ومؤرخة بتاريخ 2 دجنبر 1921 يقول: "أرسلْ لي أربع علب غاز، لأني لا أملك أية علبة هنا. أرسلْ لي كذلك نقودا لأشتري 10 علب في تاوريرت (كما هو معلوم فتاوريرت كانت موقعا فرنسيا محاذيا لمنطقة الحماية الإسبانية، وقد كانت مسرحا مهما لعمليات التجارة السرية للأسلحة مع الريف).

يبدو أن هذه الرسالة تشير إلى امتلاك الريفيين لغازات سامة، ليس فقط لأنه كان يمكن الحصول عليها في المنطقة الفرنسية بل أيضا لأنهم كانوا قد استولوا عليها في المعارك السابقة ضد الإسبان. وهذا ما يُستَخلَص من رسالة أخرى لحدو بن حمو إلى عبد الكريم في 6 دجنبر 1921 والتي يخبره فيها بأن كل معدات الحرب التي انتُزعت من الإسبان (مدافع ومعدات أخرى) كان يتم تجميعها في دار الدريوش ويضيف قائلا: "وسيتم تجميع الغاز كلما وصلت كميات منه. وبالنسبة لمن يوجد في عزيب ميضار، فليكتب للأعيان لكي يساعدوننا في حمله".

يبدو من خلال هذه المراسلة أن الإسبان كانوا يمتلكون في بعض المواقع العسكرية القنابل المحملة بالغاز بجانب الأسلحة التقليدية، ويبدو كذلك بأن الريفيين قد استولوا عليها وعلى معدات حربية أخرى. وهنا يفرض تساؤلان نفسهما: لماذا لم يستعمل الإسبان تلك الغازات قبل ذلك إذا كانوا يمتلكونها؟ ثم ما هي الدولة التي زودت إسبانيا بها مادامت هذه الأخيرة لم تكن تصنعها؟ بالنسبة للتساؤل الأول يمكننا أن نفترض أن الإسبان لم يستعملوا الغازات التي كانت بحوزتهم قبل كارثة أنوال لأسباب مختلفة ذات طابع سياسي أو تقني. أما الأسباب السياسية فتتلخص في وجود رفض قوي داخل المجتمع الدولي لاستعمال هذه الغازات بعد أن استعملت بشكل مكثف أثناء الحرب العالمية الأولى. بالإضافة إلى ذلك، فإن القيادة الإسبانية لم تكن تعتقد في تلك الفترة بأن استعمال الغازات ضد المقاومة الريفية كان قرارا سياسيا صائبا، بل كانت تظن أن الأسلحة التقليدية كانت كافية لهزم هذه المقاومة. أما فيما يتعلق بالأسباب التقنية فإن اسبانيا بالتأكيد لم تكن بحوزتها بعد المدافع الضرورية التي بإمكانها قذف قنابل محملة بالغاز. كما أن الجيش لم يكن يتوفر على أخصائيين في استعمال هذه الغازات. ومن المحتمل أن الجيش كان ينتظر تزويده بمدافع من الطراز المناسب، ربما من نوع 155 ملمتر، وكذا بالمساعدة الضرورية للتقنيين المختصين في استعمال تلك الغازات.

أما فيما يخص مصدر الغازات، فإن الصحفيين الألمانيين روديبيرت كونز ورولف ديترمولر يشيران في كتابهما المذكور سابقا إلى أن إسبانيا كانت تتوفر في صيف 1921 على كمية هامة من قنابل الغاز، وكذلك على المنشآت الضرورية لتحميل تلك القنابل وذلك في معمل موجود بمليلية. وقد كانت فرنسا البلد الذي زود إسبانيا بهذه المواد وبالمعدات الضرورية للمصنع المذكور. إلا أنهما (أي الكاتبين) يضيفان أن فرنسا إلى حدود تلك الفترة لم تزود المصنع إلا بالغازات المسيلة للدموع وبغازات أخرى تسبب تهيج الأنف والتهاب الحنجرة.

في الواقع، لقد كان القايد حدو بن حمو يستعمل في رسائله لعبد الكريم ما بين 2 و5 دجنبر 1921 كلمة "غاز" فقط بدون تخصيص أي نوع. ومن المحتمل أن تكون تلك فقط غازات مسيلة للدموع، وهي تنتمي للصنف المسمى بالمُقْعِدة والمُشَلِّلة أي التي تعرقل عضوا من أعضاء الجسم على العمل بشكل عادي. إلا أنه بالمقابل يستعمل في رسالة 31 غشت 1921 كلمة "قنابل" ويضيف كلمة "الوهج" التي تعني الضوء أو الشعاع. لماذا إذن نعتبر هذه القنابل غازات في حين أن المصطلح العربي الذي كان يجب استعماله هنا هو كلمة "سامة"؟ قد يتعلق الأمر بقنابل تحدث نيرانا وحرائق، لكن الريفيين يسمون هذا النوع بالقنابل الحارقة. وبالتالي فإن القنابل الوهاجة السابقة الذكر كانت بالتأكيد تحيل إلى نوع آخر من القنابل الذي يحدث إشعاعا ضوئيا لكنه مختلف عن القنابل الحارقة. قد يتعلق الأمر بالفوسجين الذي يحدث لحظة انتشاره غمامة بيضاء أو فيها نوع من الصفرة، وهذا هو الأثر الذي كان يراه الريفيون. يمكن الحصول على الفوسجين (الذي اكتشفه دافي Davy سنة 1811) عبر تعريض خليط من الكلور وأكسيد الكربون لضوء الشمس، ومن هنا جاءت التسمية: الضوء(fos) وتوليد أو إنتاج (gene=engendrer) ويمكن أن يكون الإسم الذي كان يعطيه الريفيون لهذا الغاز السام مرتبطا بما كان يسميه الإسبان ب "قنابل مضيئة" كما جاء في وثائق القسم التاريخي العسكري بمدريد، لكننا لا يمكننا الجزم بذلك. تجدر الإشارة إلى أن القنابل الحقيقية التي كانت تسمى بالفعل قنابل مضيئة لم تكن سامة، بل كانت من النوع المسمى بالقنابل النارية pyrotechnique وذلك حسب تصنيف كتاب "الحرب الكيماوية" المنشور سنة 1924 من طرف القيادة المركزية العليا للجيش. وبالتالي فمن المحتمل أن مصطلح "مضيئة" الذي ورد في بعض الوثائق العسكرية لم يكن إلا مصطلحا اعتباطيا لاعلاقة له بأي تاثير مرئي.

في رسالة وجهها القايد حدو بن حمو لعبد الكريم بتاريخ 31 غشت 1921، يطلب منه عدم إطلاق سراح أي أسير إسباني، وبالأخص الجنرال نافارو، لأنه إذا تم إطلاق سراحهم فإن الإسبان "سيدمروننا بغازات مسممة"

ثمة فرضية أخرى تتمثل في أن القنابل التي استعملت لبثّ الغازات لا يمكن أن تحمل متفجرات لأن هذه الأخيرة قد تُشتِّت الغاز السام لحظة الانفجار، وذلك لأن الغاز لا يجب أن يصحبه انفجار قوي وإلا فإنه سيتشتت وبالتالي يضعف تأثيره. ولذلك فإنه من اللازم تغيير الميكانيزم الذي يعمل به المتفجر المستعمل في القنابل التقليدية حتى يتأتى توظيفه في الغازات السامة. وبما أن إسبانيا لم تكن لديها تجربة في استعمال أسلحة كيماوية، فمن المحتمل أن ما كان يفعله الإسبان هو تحميل الإيبريت أو الفوسجين في القالب الذي كان يحمل عادة المتفجر دون تغيير خاصيات المادة المفجرة مما كان يؤثر على تماسك الإيبريت أو الفوسجين وهو الشيء الذي كان يسبب في انحلالهما إلى مواد قد تأخذ لونا معينا أو تأثيرا مضيئا. من جانب آخر، تشير بعض الوثائق إلى استعمال قنابل محملة بالترليت بالإضافة إلى مادة سامة، وكان يُعتَقَد بأن هذا الخليط هو أكثر نجاعة وتدميرا، لكنه في الحقيقة كان يشتّت الغاز ويقضي على آثاره السامة.

ولا نجد أية إشارات أخرى إلى الغازات السامة في المصادر الريفية مجددا حتى 24 يونيو من سنة 1922 عندما كتب القايد حدو بن حمو لعبد الكريم: "أخبرك أن باخرة فرنسية تحمل 99 قنطارا من الغاز السام لحساب الإسبان، وقد وصلت هذه الحمولة إلى مليلية يوم 16 يونيو الجاري". وتجدر الإشارة إلى أن المصطلح العربي الذي استعمل هنا للإشارة إلى هذا الغاز هو مرة أخرى "الوهجي"، والتي قد تحيل إلى القنابل التي كان يسميها الإسبان بقنابل مضيئة وذلك للأسباب السابقة الذكر. وفي نفس الرسالة، يحمل القايد حدو بن حمو إلى علم عبد الكريم بأن شخصا إسمه بارتولي قد وصل من باريس حاملا معه 100 أقنعة واقية من الغاز لبيعها بثمن 100 فرنك للقناع الواحد. وهذا الثمن قابل للتخفيض إلى حدود 60 فرنكا في حالة إذا ما كان الريفيون يودون اقتناء كمية أكبر. وقد كانت هذه الأقنعة الواقية توجد في وهران، وكان يجب الذهاب إلى هناك لأخذها. وحول نفس الموضوع، أرسل القايد إلى عبد الكريم صورة للمدفع الذي يستعمل في القصف بالغازات السامة، والذي كان يصل مداه إلى 50 كيلومترا وثمنه إلى 5000 فرنكا.

تفيد هذه المراسلة بأن الغازات السامة الأولى التي حصل عليها الجيش الإسباني في المغرب كان مصدرها فرنسا. وكما يبدو فإن فرنسا لم يكن لديها أي حرج في تزويد إسبانيا بمعدات حربية، أو في توفير المساعدة والتكوين لعناصر الجيش المكلفة باستعمال تلك المعدات. لكنها (أي فرنسا) لم تكن تفكر في استعمال تلك الأسلحة هي بنفسها، كما يتضح من فقرة أخرى من الرسالة السالفة الذكر والتي يقول فيها القايد بن حمو: "أرسلَ الإسبان 300 جندي إلى فرنسا إلى مصنع غازات سامة لتعلم طرق استعمالها في الحرب. ويلجأ الإسبان إلى ذلك لأن الفرنسيين رفضوا استعمالها بأنفسهم". في نفس الوقت بادرت الحكومة الفرنسية، ربما من أجل دفع الشبهات عن نفسها، إلى الإعلان عبر الصحافة على أنه منذ التوقيع على السلام قررت القوى العظمى حظر استعمال الغازات السامة في الحروب المقبلة. لقد كانت فرنسا في الحقيقة تزود دولا أخرى بطريقة سرية في حين كانت تعارض استعمال الغازات علنا.

ربما كانت هذه الحمولة التي وصلت إلى مليلية في 16 يونيو 1922 هي نفسها المشار إليها في التقرير الصادر في مدينة مليلية يوم 22 ماي 1922 والذي يفيد بأنه سيصل إلى المدينة عدد من القنابل المحملة بالغاز. ومن المحتمل أن يكون هذا الغاز هو الفوسجين الذي كان الغاز المفضل لدى الفرنسيين حيث كانوا يفضلونه في تجاربهم الكيماوية لأنهم كانوا يعتبرونه أكثر تسمما من الإيبريت. وبالإضافة إلى الفوسجين فمن المحتمل أن الفرنسيين كانوا قد قاموا بتزويد إسبانيا أيضا بالكلوروبكرين، رغم أن الجيش الإسباني قد يكون حصل عليه من خلال الاحتياطي المدني، إذ أن هذا المنتوج الكيماوي يستعمل كما هم معروف في الحقول وخاصة في محاربة الكائنات الضارة (حشرات، جرذان).

يبدو أن صورة المدفع التي أرسلها القايد بن حمو إلى عبد الكريم تفيد بأن الجيش الإسباني قد استعمل غازات سامة قبل يونيو 1922. لكن قد يتعلق الأمر فقط بالمدفع الذي يمكن أو يتوقع استعماله في أية لحظة. وأمام هذا المستجد فكر الريفيون في إمكانية اقتناء مدفع بتلك الخاصيات من جهة وأقنعة واقية من الغاز من جهة أخرى وذلك لحماية أنفسهم من هجوم المدفعية الإسبانية.

ترجمة: محمد الداودي

إحالات

1. وزارة الخاجية الفرنسية، أوراق عبد الكريم.
2. روديبرت كونز ورولف ديترمولر. "حرب الغازات السامة بالمغرب: عبد الكريم الخطابي في مواجهة السلاح الكيميائي". ترجمة عبد العالي الأمراني. منشورات فيدباك، الرباط. 1996.
3. Sebastian Balfour. Deadly Embrace. 2000.

يتبع في العدد القادم

محمد عبد الكريم الخطابي:



علامات في مسار الفكر الوطني المغربي

" لعل من يتأمل سجل هذا المنفي حيا وميتا، سيجد أن صراعه ضد المتربصين بالوطن لم ينته بعد، وأنه ما يزال يقلق من مرقده في مقبرة الشهداء بالعباسية في القاهرة، ضعاف البصيرة. وعبد الكريم الخطابي الذي تنكر له الرسميون من أبناء وطنه، اعتبره غيرنا من عقلاء هذا العالم الرائد ومدرسة ثورية وفية للشعب. فهل من منابعها زعماء قادوا شعوبهم إلى الحرية والكرامة.

فإذا كانت الأمم والشعوب تنقب عن أمجادها في مآثر أبطالها وقادتها، فإن مآثر عبد الكريم، على العكس، ما تزال تلقى صدا وإصرارا غريبا على العبث بها ومحاولة محوها من ذاكرة الوطن الجماعية ". **محمد أمزيان**

مقدمة:

لسنا نعرف عن محمد عبد الكريم الخطابي، أكثر من أنه شخصية عسكرية قادت حرب الريف التحريرية ضد الاستعمار الاسباني والفرنسي خلال العشرينيات من القرن الماضي. ولسنا نعرف _ في أحسن الأحوال _ أكثر من أنه صاحب الانتصارات التي ألهمت حماس كبار الشخصيات العالمية التي قادت شعوبها نحو التحرر والإنعتاق، أمثال: هوشي منه- ماوتسي تونغ _ غيفارا ...

إنها لحقيقة مرة، أن نختزل ونختزن شخصية القرن في صورة باهتة عديمة الألوان، أو كما اعتبر ذات مرة الأستاذ عبد الكريم غلاب، الزعيم الخطابي، مجرد فلاح بسيط لا يفقه شيئا في السياسة. وكأن السياسة ولدت مع جلباب شباب .1930

إن الوقت قد حان لأن نزيل اللثام عن حقيقة هذه الشخصية الأسطورية، حقيقة أبعاد مشروعه، حقيقة إرثه وتراثه الفكري والنضالي، حقيقة التاريخ المغربي.

إسهامات محمد عبد الكريم الخطابي في الفكر الوطني المغربي:

تبرز أولى علامات إسهام البطل محمد عبد الكريم الخطابي في تطوير الفكر الوطني المغربي خلال بداية القرن الماضي، انطلاقا من كون " حركة الخطابي لم تكن مثل باقي أعمال المقاومة المسلحة في القبائل. إن الخطابي كان يمثل مشروعا متكاملا لتحرير الوطن والدولة وبناء المواطن. إنه هو الذي انتقل بالفكر السياسي المغربي من مستوى القبيلة إلى مستوى الوطن" (1). ولا أدل على ذلك ، طبيعة المشاريع التحديثية والإصلاحية التي أدخلها الخطابي على المجتمع الريفي في صيغة إصلاح جذري وتغيير شامل ، وفق أسس واقعية وباليات تنتمي إلى عمق البيئة الوطنية ومن منطلق الوعي الوطني والفكر الحداثي الذي تولد لديه. وقد جعل منه أساس قاعدته وحركته الثورية، والمدخل الجهوي لخوض غمار الحرب.

ومنذ البداية، عمل الخطابي على ترجمة تصوره لبنية الدولة الحديثة من منطلق أسس وركائز صلبة، وتجلى ذلك من خلال معالم النظام الإداري والمالي والقانوني والسياسي والاجتماعي الذي اتبعه. وقد ظل البطل مولاي موحند مهووسا ب" هوس الحداثة " على حد تعبير زكية داود، الأمر الذي يفسر قيام الخطابي بتأسيس جمعية عامة (برلمان) وحكومة وأركان الحرب ومؤسسات اجتماعية أخرى، كجملة تدابير ضرورية لتجاوز الوضعية التي كانت سائدة بالريف المتسمة بالفوضى وطغيان ظواهر شاذة تتنافى وحقيقة قيم المجتمع الأمازيغي، وهي وضعية كانت ناجمة عن التفكك السياسي والاقتصادي الذي عاشه المغرب. علاوة على ترسانة قانونية جعل منها محمد عبد الكريم الخطابي أساس تجاوز وضعية عادات الثأر والإنتقام ، وقد أصدر قانون عدم ازدراء اليهود، ووضع دستورا من أربعين مادة، إضافة إلى مؤسسات سياسية واجتماعية وثقافية...

2

كل هذه الإنجازات لم تكن بمعزل عن خصوصيات الواقع الذي عاش فيه، إلى جانب ما تولد لديه من معارف وتجارب بفضل إحتكاكاته وإطلاعه الواسع، وهي منجزات كانت من منطلق فلسفة الزعيم الخطابي ذات الأسس الحضارية والإنسانية قصد البناء الوطني والتخلص من الإرث السلبي، نتيجة التطور التاريخي الذي عرفه المجتمع خلال القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

كل هذا، هو ما يؤشر على القول بأن الشهيد مولاي موحند ظل يحمل فكرا وطنيا ثوريا وتحرريا، كما أنه صاحب رؤية متكاملة لطبيعة بنية الدولة الحديثة القوية التي ظل يكافح ويناضل من أجلها، في مقابل تآكل بنية الدولة المخزنية التقليدية وغياب مشاريع إصلاح حقيقية، وهو ما عجزت الدولة المغربية آنذاك عن إنجازه وتحقيقه .

إن تتبع مشاريع التحديث لدى القائد محمد عبد الكريم الخطابي، وبالنظر للظرفية التاريخية التي جاءت فيها وطبيعة الشروط الذاتية والموضوعية التي كان محكوما بها، هو ما يدل على كونه يشكل علامة بارزة في مسار الفكر الوطني المغربي ومدرسة حداثية بامتياز. ولعل في تعقب أثار هذا الفكر الوقاد ما يؤكد أن مبدع حرب العصابات " هو الأرض والإنسان والقيمة وهو الروح في تجددها الدائم، وهو أيضا الذاكرة التي مازالت مشعة في ثنايا الكينونة المغربية" على حد قول ع. جماهيري. وتبرز معالم هذا الفكر بصورة أكثر عمقا، انطلاقا من وضع مقاربة أولية لمشروع الخطابي ومشروع " الحركة الوطنية "، كثنائية بقيت محكومة بمنطق شد الحبل. وتعتبر مرحلة ما بعد إنزال الخطابي بمصر قمة تباين وتناقض مشروعين في صورة خلاف سياسي وبعمق فكري، الأول جسده محمد عبد الكريم الخطابي وجيش التحرير، والثاني تجسد من خلال " الحركة الوطنية " وامتداداتها الفكرية والحزبية في مغرب ما بعد .1956وهو ما يعبر عنه ر. رزيت بكون مشروع عبد الكريم يتعارض كلية مع مشروع " الحركة الوطنية. فبينما ظل الزعيم مولاي موحند يؤكد أن الرسالة المصيرية للشعب المغربي لا يمكن أن تنقلها إلا لغة البنادق، ظل رجالات ووطنيو " ما بين الحربين " يجنحون إلى " العمل السياسي " في غياب أي مشروع حقيقي بديل، وهو ما يعبر عنه ذ. عبد الله العروي بالقطيعة. ويورد العروي في موضوعه حول " عبد الكريم والحركة الوطنية المغربية " المنشور بكتاب " الخطابي وجمهورية الريف" نموذج القطيعة بين تجربة الخطابي وتصور نخبة ما بعد 1930، ويشير إلى ذلك من خلال ما ذكره علال الفاسي: " إن عبد الكريم لم يبن خلال خمس سنوات مدرسة واحدة " فكان أن رد عليه عبد الكريم قائلا: " نعم، ولكنكم أنتم ، وطنيو مرحلة ما بين الحربين لم تفعلوا إلا هذا ، إنكم لم تكونوا سوى أساتذة مدارس.

إن الأصل في التعارض الذي ظل قائما بين مشروع وفكر ابن عبد الكريم ومشروع رواد "الحركة الوطنية"، هو تعارض المنطلقات الاديولوجية والأسس الفكرية التي أنبنى عليها كل مشروع على حدة. فتصور الخطابي كان بمضمون سياسي، ثقافي، اقتصادي و اجتماعي وعلى أساس وعي شامل ليس فقط لراهن القضايا التي كانت مطروحة على الصعيد الوطني، ولكن بمجمل القضايا الكبرى التي عارضها في جميع أقطار العالم (2)، ومن منطلق وطني وحضاري وفق القيم الإنسانية التي لم يستطع العالم الوصول إليها إلا بعد قرن من الزمن. وتتضح معالم المضمون الشامل لرؤية الخطابي وفكره الوطني، من خلال الموقف الذي ظل يدافع عنه بخصوص مسألة استقلال المغرب وكيفية طرد المستعمر ومفاوضات "إيكس ليبان" والحزبية الضيقة التي كانت تتعارض ومصير المغرب، ثم الموقف الذي أبداه بخصوص أول دستور سنة 1962 ، ويجدر بنا أن نورد فقرة من نص مداخلة عبد الرحمان اليوسفي "مؤسسات جمهورية الريف" في ندوة باريس، تبين موقف عبد الكريم : " في الواقع ، لم يقدر للأمة المغربية ، منذ زمن بعيد، العيش وفقا لنظام دستوري مناسب . ولذلك عمت فيها الفوضى وانعدام الاستقرار وانتشر فيها التمرد والشغب. ومع مرور الزمن وتطور الحياة أخذ الشعب المغربي يعي ضرورة إيجاد دستور ينظم حياة البلاد ويرعاها. تجلى هذا الوعي بتعبير الشعب عن رأيه في الصحافة وبواسطة الكفاح المسلح. كانت المعركة الأخيرة التي خاضها الشعب المغربي لاستعادة استقلاله تعبيرا أصيلا عن توقه للحرية. ولكن لا حرية دون دستور. ليس هناك من دستور إلا الدستور الوطني الذي تضعه الأمة بنفسها ولنفسها. إن الدستور الشرعي لبلد ما لا يمكن أن تصيغه إلا لجنة أو هيئة منتخبة تمثل مختلف الطبقات الشعبية تمثيلا صادقا وأصيلا". إن نص محمد بن عبد الكريم الخطابي يؤكد منظوره لبنية دولة حديثة ذات سند شعبي وبمؤسسات ديمقراطية وقوية، ويعمق مقولة كون البطل الخطابي شكل معلمة بارزة في الفكر الوطني المغربي. غير أن " الحركة الوطنية " بقيت عاجزة عن تقديم أي مشروع واضح المعالم وجعلت

3

الفكر الوطني المغربي حبيس اجتهادات "السلفية التقليدية"، وبقي منظورها لبناء دولة ذات أسس ديمقراطية وقوية محصورا في أفكار الإصلاحات التي ظهرت لدى المشارقة من أمثال محمد رضا وسلفية جريدة "المنار" وأفكار شكيب أرسلان، ويظهر ذلك من خلال كتابات الطيب بنونة ، المكي الناصري وعلال الفاسي... الذين تولدت لديهم بعض الأفكار النهضوية في شكل نشر المعارف والاهتمام بالتعليم والتأكيد على تعريبه. وقد بقي مشروعهم مرتبطا بإديولوجية المشرق على مستوى الشكل والمضمون (العروبة والإسلام)، وهو ما كان يتناقض كلية مع حقيقة خصوصيات المجتمع المغربي. كل ذلك يبرز غياب مشاريع مجتمعية حقيقية ترمي إلى إصلاح أوضاع المغرب، وتقدم بدائل واقعية تغني الفكر الوطني وتدخل تغييرات عميقة على المجتمع المغربي، وهو ما عجز عنه حتى السلاطين الذين تعاقبوا على حكم المغرب، رغم اشتداد الأزمات في بعض المراحل التاريخية، اللهم بعض المحاولات الإصلاحية على المستوى العسكري والمالي والإداري. وهكذا ظل المغرب وآمال المغاربة متراوحا بين فكر إرادة التحديث والتغيير، وإرادة تكريس الوضع القائم، فكان أن أخفقتا الإرادتان وقد جسد ذلك ذ. العروي حينما كتب: " شخصيتان مرموقتان، وجها عرفا العظمة ولكنهما عرفا الفشل: الأول في ساحة المعركة والثاني لاحقا وبشكل قد يكون أكثر مأساويا على طاولة المفاوضات،ولم ينهض المغرب...من هذا الفشل المزدوج، أما نحن الذين علينا أن نعيد بناء هذا المغرب المهدوم، والمعوج، إذ طالما سمعنا رسالة علال الفاسي ، فلقد آن لنا القيام بحل رموز الكلام المتقطع لعبد الكريم الريفي"(3).

خاتمة:

تحيل المعطيات السالفة الذكر، على أن اسم الخطابي سيبقى أحد أعمدة الفكر الوطني المغربي بما شكله من معالم واضحة في سيرورة هذا الفكر الذي لا ينبغي أن يظل سجين نخبة " الحركة الوطنية " خلال مرحلة الثلاثينات.ذاك الفكر الذي يقترن بما هو مستورد من هناك وهنالك ، بأساطيره وأوهامه وإرهابه...

فالفكر المغربي يختزل في "النقد الذاتي" لعلال الفاسي أو " حياة وجهاد" لمحمد بلحسن الوزاني أو " الإختيار الثوري" للمهدي بن بركة أو في أحسن الأحوال بمؤلفات المختار السوسي ، في حين أن المغرب يعج بشخصيات تركت بصمات بارزة في مسار تطور هذا الفكر. وتبقى مختلف الجوانب الفكرية لدى شخصية القرن في حاجة إلى مزيد من التمعن والتعمق والتأمل. وهو الإرث الفكري الذي مازال تائها بين الصحف والكتابات الخاصة وأحضان الذاكرة الجماعية. إن الدولة المغربية وهي تتحدث عن التحديث والدمقرطة، مجبرة على أن تجعل من المشروع الفكري الذي حمله الخطابي وكل الرموز الوطنية الحقيقية أحد ركائز هذا الرهان، مع ضرورة تجاوز منطق اغتيال عظماء هذا الوطن، لا لشيء إلا لأنهم عظماء.

على أن " بطل مثل عبد الكريم، كان لا بد أن يكون لقوله وزن، ولتاريخه صدى، ولآرائه قيمة. ثوري بأبعاد إنسانية مثله، لم يكن لينطلق عن أهواء شخصية. أو تتنازعه النوازع الضيقة. عبد الكريم ظل وفيا لشعبه، لوطنه، لمبادئه. فهل آن الأوان أن نفهمه؟"(4).

محمد زاهد

هوامش وإحالات:

1- عثمان أشقرا _ في الفكر الوطني المغربي _ سلسلة المعرفة للجميع _ عدد 17 -2000 _(أنظر مدخل محمد العربي المساري).

2- لم ينحصر فكر ومواقف الخطابي على ما هو وطني فقط، بل تعداه ليلامس قضايا عالمية. ذلك أنه كان مطلعا على تجربة مصطفى كمال بتركيا وتأثر بهذه التجربة، وقدم مواقف مساندة لكفاح الشعب الفلسطيني ومن الحرب الهند-صينية والثورة الفيتنامية وأندونيسيا، وكل الشعوب التي كانت تئن تحت وطأة الاستعمار . وكذلك من قضية التسلح والتفجيرات النووية وقضايا حقوق الإنسان...

3- عبد الله العروي _ عبد الكريم والحركة الوطنية المغربية _ مجلة أمل _ عدد 8 _ 99 ص 109.

4- محمد أمزيان _ محمد عبد الكريم الخطابي : أراء ومواقف 1926 _ 1963 _ منشورات اختلاف _ ط 1 _ 2002.

من الأمازيغية إلى الحداثة:

من المثلث الأسري الأمازيغي إلى المثلث الديني والسياسي

(الحلقة الأخيرة)

الحسين سيعلي

أستهل هذه الحلقة بالحديث عن مفهوم المثلث الأسري وما أثاره من جدل نظري، ثم أنتقل إلى المثلث الأسري الأمازيغي وأثره على المثلث الديني والسياسي الأمازيغيين، وذلك في إطار الفرضية التي تنطلق من العلاقة السببية بين نظام القرابة كنظام سوسيوثقافي أولي وبين النظام الديني والسياسي في تجلياتهما الأولية، أي أن مؤسسة الأسرة تشكل الأساس الأنتربولوجي للمؤسسة الدينية والسياسية. فكيف يشتغل المثلث الأسري الأمازيغي؟ وما هي امتداداته الدينية والسياسية؟

1- الجدل النظري حول المثلث الأسري:

بدل تداول مفهوم المثلث الأسري في التحليل النفسي والأنتربولوجيا، يستعمل سيغموند فرويد المثلث الأسري في صيغة المثلث الأوديبي. وهو يحيل إلى العلاقة النفسية بين العناصر المكونة للأسرة: الأب، الأم والإبن. في إطار هذا المثلث توصل فرويد إلى نتيجة مفادها أن الإبن له مشاعر مزدوجة تجاه والديه: مشاعر الحب تجاه أمه، ومشاعر الكراهية تجاه أبيه. هذه المشاعر نتجت عن التحريم الجنسي بين الإبن والأم، أو بصيغة أخرى نتجت عن استئثار الأب بالعلاقة الجنسية مع الأم وإبعاد الإبن عنها. هذا الفهم الفرويدي سيعرف حدوده مع ظهور النتائج الأنتربولوجية التي توصل إليها برنسلاب مالينفسكي بعد دراسته لمجتمع تروبريون Trobriand في المحيط الهادي. يقول مالينفسكي إن المثلث الأسري التروبريوندي لا يستبد فيه الأب كما هو الشأن بالنسبة للمجتمعات الأبوية، لكون المجتمع التروبريوندي أموميا وليس أبويا، ولذلك لا يمكنم الحديث فيه عن مشاعر كراهية الطفل تجاه والده. وينتج عن ذلك أن النظرية الفرويدية ليست نظرية عامة. هذا الخلاف بين سيغموند فرويد وبرنسلاب مالينفسكي بصدد مفهوم المثلث الأسري تجاوزه الأنتربولوجي الفرنسي كلود ليفي ستروس بوضعه لمفهوم قاعدة حظر المحارم، وهي قاعدة عامة عند جميع الشعوب رغم اختلافها. إن ما يهم الفي ستروس هي الوظيفة وليس من يقوم بها، فوظيفة التأديب والتربية التي يقوم بها الأب في المجتمع الأبوي تسند إلى الخال في المجتمع الأمومي، أي أن التأديب هي الوظيفة نفسها يقوم بها الأب هنا ويقوم بها الخال هناك. في ضوء هذا الجدل النظري نتساءل: من يقوم بوظيفة التأديب والقمع - بتعبير مالينفسكي- في المثلث الأسري الأمازيغي، هل هي الأم أم الأب؟ مر معنا في حلقات سابقة أن وظيفة القمع تجاه الطفل الأمازيغي غير واردة في المثلث الأسري الأمازيغي، وذلك على الأقل خلال السنوات الأولى اللاحقة للميلاد، فالأم الأمازيغية تتجنب كل شيء لا يرغب فيه طفلها، وفي نفس الآن تفسح المجال لإرادته واختياره. أما الأب فلا يستأثر بالأم، كما يقول فرويد، وإنما الطفل هو الذي يفعل ذلك. وقد ذكرت في غير هذا الموضع أن الإبن يلازم جسد أمه لحوالي 70% من الوقت عبر ثلاث سنوات على الأقل، في حين أن الأب لا يرتبط بهذا الجسد إلا لمدة 10% على أكبر تقدير. ومن المحتمل أن الأم الأمازيغية تتجنب ردود فعل الإبن بسبب هذا الإرتباط، مثلما تتجنب إنجاب طفل لاحق بشكل مبكر حتى لا ينافس أخاه الأكبر على جسدها، وذلك كيلا تتولد فيه مشاعر الكراهية تجاه أخيه.

2- الوظيفة الرمزية للأب في المثلث الأسري الأمازيغي:

يقول المحلل النفسي جاك لاكان J.Lacan إن الأب في المثلث الأسري يرمز إلى القانون، وهو هنا يتحدث عن القواعد الثقافية الغربية المعتمدة في عملية أجرأة قاعدة حظر المحارم، والنتيجة هي أن القانون هو الذي ينظم الحياة الأسرية الغربية مثلما ينظم مؤسسات أخرى، أليس القانون هو ثقافة غربية خاصة؟ أما فرويد فقد بين أن الأب يرمز في المثلث الأسري إلى الشرائع الدينية، وقد عاد في ذلك إلى شرائع العبرانيين، حيث أشار إلى أحكامها المشددة والقاسية. إن الأمر هنا يتعلق بنمط شرقي لنظام القرابة وبغيره من المؤسسات، ووفق هذه الشرائع يلغي الأب الطبيعة الإنسانية للعنصرين الآخرين المكونين للمثلث الأسري أي الأم والإبن، ويحولهما إلى أشياء أو أدوات، تماما مثلما يلغي الحاكم الشرقي الطبيعة الإنسانية للشعب كله، وذلك عن طريق تحويله إلى قطيع من الرعايا بالشرائع المذكورة نفسها. ألم يعرف ابن تيمية في كتاب "السياسة الشرعية" السياسة على أنها رعي، حيث ينطبق على علاقة الحاكم بالرعية نفس ما ينطبق على علاقة الراعي بالقطيع؟! إن المجتمع الشرقي مجتمع رعوي، لذلك كانت السياسة عنده رعيا والشعب قطيعا. و هذه الظواهر لا تنفصل عن ظاهرة أخرى عندهم كالزواج الداخلي والاستبداد والحقد على الآخر المختلف في الطقوس والشرائع. نحن الآن أمام مؤسسة واحدة،هي الأسرة، لكنها تشتغل في الغرب وفق القانون وفي الشرق وفق الشرائع. وفي هذا السياق تحدث سبينوزا، وهو يهودي متمرد، عن الفرق بين القوانين والشرائع في كتابه "اللاهوت والسياسة"، حيث قال إن الشرائع أكثر قمعية من القوانين، لأن الشرائع، وخاصة العبرانية منها، لها صبغة انتقامية. فما هي القواعد المنظمة للمثلث الأسري الأمازيغي؟ وهل يرمز فيه الأب للقانون أم للشريعة أم للحق؟

يبدو لي أن المثلث الأسري الأمازيغي لم ينظم وفق القانون ولا وفق الشريعة إلا في مرحلة متأخرة، وبدل ذلك كان ينظم وفق الحق. فما الحق؟ وكيف يتجلى في المثلث الأسري الأمازيغي؟ وهل يمتد إلى مؤسسات دينية وسياسية كما يمتد القانون والشريعة إلى هذه المؤسسات في حالتي الشرق الغرب؟

إن الحق Droit في اللغة الفرنسية يرتبط بمعنى الاستقامة Droiture، وهو نفس المعنى الذي تأخذه لفظ Azraf الأمازيغي. أما الحق اصطلاحا فهو يرتبط حسب هيجل بجهة ثالثة محايدة ومستقلة عن الذات (الأنا) وعن الآخر (الغير)، لأن الذات لا تدرك الحق إلا على نحو ما يبدو لها مما يجعل حق الذات هو حق ذاتي. ونفس الحكم ينطبق على حق الآخر، إنه حق ذات أخرى فهو إذن حق ذاتي آخر. إن الحق بحاجة إلى شرطين على الأقل، يحتاج إلى الاستقامة


نساء ريفيات سنة 1914

ويحتاج إلى ثالث يوجد بين حق الذات وحق الغير، وهذا الثالث يشترط فيه أن يكون محايدا. والحق بهذا المعنى هو الذي ينظم مؤسسة الأسرة الأمازيغية كما ينظم مؤسسات أمازيغية أخرى. ففي الأسرة الأمازيغية يرمز الأب إلى الحق ضمن العلاقة الرابطة بين الأم والإبن، وترمز الأم إلى الحق في العلاقة بين الأب والإبن، كما يرمز الإبن إلى الحق في العلاقة بين الأم والأب. إن كل عنصر من عناصر المثلث الأسري يرمز إلى ثالث معين، أي إلى الحق من حيث هو استقامة وحياد، بالنسبة للعنصرين الآخرين. فمثلا إذا حدثت مشكلة بين الأب والإبن فإن الأم هي ثالث بينهما، أي هي حق، ونفس الشيء ينطبق على الأب والإبن. من هنا نفهم ذلك الشعور بالمسؤولية تجاه أفراد أسرته، لأن المسؤولية هي النتيجة الحتمية للشعور بالذات من حيث هي ثالث في سياق العلاقة بين الذات والغير. لهذا السبب تنكسر الأسرة عندما يدرك عنصر من المثلث أن العنصر الثالث، وهو ثالث وحق في نفس الوقت، لا يقوم بوظيفته المتمثلة في الاستقامة والحياد في الحكم بل بوظيفة القمع التي تحدث عنها مالينفسكي. هنا يتجلى معنى التعريف الهيجلي للحق باعتباره "لاينالي بالفروق بين الأفراد". وتتجلى هذه الظاهرة بشكل أكثر وضوحا لدى الأمازيغ في مؤسساتهم العامة الدينية والسياسية. إن ما هو عام -حسب الجدل الهيجلي- يأخذ صفات الأجزاء المكونة له، والخاص يأخذ بدوره صفات الكل الذي هو جزء منه، كذلك لا يمكن الفصل بين الأسرة الأمازيغية كمؤسسة خاصة وبين المؤسسات الدينية والسياسية كمؤسسات عامة.

3- المثلث الأمازيغي الديني والسياسي:

تشكل مؤسسة الأسرة الوحدة الأولية للحياة الثقافية والإجتماعية، وعن مجموع الأسر تَنتُج المؤسسات الأولية الثقافية والسياسية. تبدو هذه العلاقة عامة بالنسبة لجميع المجتمعات، وهي تنطبق أيضا على المجتمع الأمازيغي، ذلك أن ما يميز الظواهر الأسرية الأمازيغية، وقد مر ذكرها، يميز أيضا الظواهر الثقافية والإجتماعية الأمازيغية العامة، ولإبراز العلاقة المذكورة سوف أركز على مؤسستين: إلولاهما دينية وهي الضريح Amrabed، وثانيتهما سياسية وهي الرئيس Amghar.

4-الضريح الأمازيغي كمثلث ديني:

يعتبر الضريح ظاهرة دينية أمازيغية خاصة، وهي ظاهرة واسعة الانتشار في بلاد الأمازيغ، غير أن هذه الظاهرة صارت، منذ القرن 16 على الأقل، ظاهرة عربية إسلامية، أي أنها تعربت. و هذا التعريب يتجلى في الطابع الهوياتي للضريح، لأن الضريح عند الأمازيغ يرمز إلى الاختلاف، لكنه ،بعد تعريبه، أخذ نسبا عربيا شريفا.

يشترط الأمازيغ في تشييد الضريح شرطين: أن يشيد على الحدود وأن يكون دفينه غريبا عنهم. إن الضريح لا يشيد في وسط القبيلة ولا في وسط فرع من فروعها، وإنما يشيد في تخوم القبائل أو في الحدود التي تفصل بين فروع القبيلة الواحدة. و يشترط في دفين الضريح أن يكون غريبا وأجنبيا عن الجماعة التي تشيد له ضريحا، ولا يشيد الأمازيغ ضريحا لواحد منهم ولو كان عالما دينيا كبيرا مثل القديس أغسطين، أو إمبراطورا عظيما مثل يوسف بن تاشفين. و نفهم من الشرطين المذكورين أن الضريح الأمازيغي له دلالة ثقافية أمازيغية، إنه يرمز إلى ثالث بين اثنين وهما القبيلة (أ) والقبيلة (ب) على المستوى الفيزيقي، والإنسان والقوى الخفية على المستوى الميتافيزيقي. إنه ليس ذاتا ولا آخر، ليس ظاهرا ولا خفيا، فهو وسط بين هذا وذاك. لهذا السبب ليست للضريح هوية مغلقة؛ إنه يرمز إلى الإختلاف، ويرمز إلى المتعدد وليس إلى الواحد. وبما أن الحق لا تقوم له قائمة بين اثنين إلا إذا وجد ثالث، فالضريح بوصفه ثالثا محايدا يرمز إلى الحق، وهو أرقى الحقوق على الإطلاق لأنه حق مقدس.لهذا السبب يلتجئ إليه الأمازيغ لفك نزاعاتهم الفردية والجماعية في أحوالهم المرضية والصحية. إن الأمازيغي المريض يلتجئ إليه لاستعادة حقوقه الصحية من القوى الخفية، وإذا كان له مشكل مع غيره يلتجئ إليه لنفس الهدف، فإذا أنكر عليه خصمه حقوقه يقول: " اعطني حق الله"، أي "اقسم لي بأنه لا حقوق لي عليك. في هذه الحالة يفضل خصمه أن يؤدي له بالقسم في المسجد لا في الضريح، ذلك لأن المسجد يرمز إلى الواحد وليس إلى الثالث ومن ثم فهو لا يرمز إلى الحق. ونفس ما ينطبق على أحوال السلم ينطبق على أحوال الحرب أيضا، فإذا دارت الحرب بين فريقين وانهزم أحدهما، فما عليه إلا أن يلقي السلاح جانبا ويصيح: " آه يا سيدي الفلاني!". بهذه الصرخة تنتهي الحرب فورا. وكل من تمادى يعتبر مجرم حرب تنطبق عليه عقوبة جريمة القتل ولو كان منتصرا. بعد ذلك يلتجئ الفريقان إلى الضريح من أجل المفاوضات، حيث يحق للطرف الضعيف والمنهزم أن يدافع عن حقوقه كاملة، ولا يتنازل عن شيء منها.لهذا السبب يضغط المنتصر من أجل إجراء المفاوضات في مكان غير الضريح حتى ينتزع بعض المصالح عن طريق القوة وليس عن طريق الحق.

هذه بعض الوظائف التي يقوم بها الضريح ضمن وظائف أخرى كالطقوس الدينية وإصدار القوانين والقرارات الهامة التي تتعلق مثلا بالمشاريع العامة (تويزا)، أو بالحرب والسلم ... فما العلاقة بين مؤسسة الأسرة ومؤسسة الضريح عند الأمازيغ؟ العامل المشترك بين الأسرة والضريح هو القداسة، إنهما معا مقدسان ويقومان معا على مبدإ الحق باعتبار خاصيتهما المثلثة. ونتيجة للمبدأين المذكورين نجد مجموعة من القيم تسود فيهما، مثل المساواة، الحرية، المسؤولية، التضامن والإرادة...إلخ.

-2-3المجلس التشريعي كمثلث سياسي:

إن الخاصية المثلثة المميزة للأسرة والضريح الأمازيغيين نجدها في مؤسساتهم السياسية أيضا، وينتج عن ذلك أن المؤسسة السياسية الأمازيغية تقوم هي أيضا على مبدإ الحق. ومن أجل الإختصار أود التركيز على ظاهرة المجلس التشريعي ((Ayt Azref التي تجسد أكثر من غيرها الظاهرة المذكورة. لأجل هذه الغاية سوف نعتمد على وثيقة قديمة دونها سكان أوفوس (إقليم الرشيدية)، ونوردها هنا بحرفها: " وأما أهل أزرف فإن الشيخ (أمغار) ينقرهم من أرباع البلد، فإن اتفقوا على الذي اجتمعوا عليه فنعم، وإن لم يتفقوا فينقر أيضا عشرة أخرى، فإن اتفقوا فنعم،وان لم يتفقوا فيحسب الجميع، فالثلث لا يخير على الثلثان، وان افترقوا الثلاثون على نصفين فإنهم يقدمون على أهل تخيمت، فإن أفروهم بما كان يقتل الحق عندهم فنعم، وإن لم يفروهم فإنهم يقدمون لشيخ آيت امنصاف، فانه يفريهم بما يقتل الحق عنده، وإن افترقوا له الناس فالنصف الذي خير عليه الشيخ هو المعول عليه" (أحمد أرحموش/القوانين العرفية الأمازيغية) .

هذه الوثيقة كتبت بلغة عربية ركيكة ومليئة بالأخطاء النحوية، لكن ا الباحث هنا لا تهمه اللغة السليمة بل العقل السليم. إن هذا العقل الذي يقدم صيغة تنظيمية لمجلس تشريعي ليس له مثيل تقريبا في المجتمعات التقليدية. هذه الصيغة تستند إلى الثالث "الذي يقتل الحق"، أي يبرزه بشكل لا يختلف فيه الإسلام، ومع ذلك من حق أي طرف أن يعبر بحرية عن موقفه من الحل المقترح، لأن النظام السياسي الأمازيغي لا يقوم على الشرائع ولا على القوانين وإنما على الحق، وانطلاقا من هذا الحق يحق لكل طرف أن يطالب بثالث آخر "يقتل الحق" بطريقة أخرى، لأن الحق يوجد فيما يتجاوز الذات والآخر، أي أنه آخر الآخر. لهذا السبب يمر المجلس التشريعي في هذه الوثيقة بثلاث مراحل، وفي كل مرحلة يوضع الأمازيغي كرجل حر أمام ثلاث اختيارات.

كخاتمة لما تقدم، يبدو لي أن هناك نظاما أمازيغيا عاما يشتغل وفق نفس القواعد وفي كل المجالات الفنية والإجتماعية والسياسية والدينية والإقتصادية وغيرها. وما قلته عن هذا النظام لا يعدو أن يكون مجرد محاولة أولية تحتمل الخطأ أكثر من الصواب، ولكن مع ذلك لا شيء يثني الباحثين عن مواصلة السؤال والعمل في ميدان ما زال يشكو من النقص أو البياض.

الأمازيغية والعولمة

لقد رفعت العولمة شعارا (وحشيا) يسعى إلى توحيد القيم واللغات والثقافات وكذا أنماط الإنتاج، كبديل للتعدد والخصوصيات الثقافية واللغوية للشعوب، وهذا معناه إعطاء السيادة المطلقة لنموذج ثقافي، اقتصادي، اجتماعي وسياسي أحادي الأبعاد، يتوخى إنتاجا واحدا لأسباب العيش والتفكير، يتم استيراده من طرف الدول التابعة كما تستورد الشوكولاطة أو أكلة الماكدونالد.

إن ثقافة العولمة التي تتجلى في مجموعة من الرموز والصور وأساليب العيش والممارسات اليومية في الحياة والفنون والقيم، تعمل على إضفاء الشرعية على نظام اقتصادي عالمي. هذه الثقافة تُحمل عبر وسائط يتم تمريرها في وسائل الاتصال (الإعلام السمعي البصري، الأنترنيت...) لتصل إلينا بسرعة فائقة. وهي تشكل تهديداً حقيقيا للغات والثقافات المحلية التي هي جزء من التراث الإنساني عموما، ومن بينها اللغة والثقافة الأمازيغيتان، وذلك لعدة اعتبارات نورد منها:

- كون لغة العولمة (الإنجليزية) هي لغة التقنية والاقتصاد، الاستهلاك والسلع المتداولة، التكنولوجيا والإعلام والاتصال، الأسواق المالية، وهي لغة الشغل والترقي الاجتماعي، وتحقيق الثراء والغنى، وهي أيضا لغة الفنون والسينما...

في مقابل اللغات المحلية (المهمشة من دواليب الدولة) التي ترمز إلى الدونية والتهميش حيث لا تنتج لا فكرا ولا تكنولوجيا ولا مالا... كما أنها ليست لغة للسلطة والحياة العامة، وهي غير مكتوبة، وبالتالي فماذا سيرجو منها المنتسب إليها؟ إنه يهجرها ويذهب للبحث عن لغة العصر، لغة الثروة والتمدن.

- إعلاء السياسات التربوية من لغة العولمة _ أو اللغات الحية الأجنبية القريبة منها _ وإقصاء اللغات المحلية، ولا أدل على ذلك من الاهتمام المتزايد الذي تحظى به الإنجليزية في برامجنا التربوية _ فقد أدمجت في المستويات الدنيا تدريجيا _ في مقابل إهمال اللغة الأمازيغية مثلا.

- إقصاء اللغات المحلية من الإدارة والقضاء ومن شؤون الحياة العامة (في مقابل تنامي استعمال لغة العولمة) وعدم استفادة بعضها من الحماية القانونية كالأمازيغية التي لا تحظى في المغرب بالشرعية الدستورية.

- توسع وتيرة التمدن: إن تزايد وتيرة التمدن بسرعة مذهلة _ ليس بعيب في حد ذاته _ ولكنه يساهم بشكل سريع في قتل اللغات غير المكتوبة، وغير المدمجة في مؤسسات الدولة بشكل فعال.

إن اللغة ليست وسيلة للاتصال فقط، بل تحمل في ثناياها دلالات ثقافية وحضارية، إن موت اللغات البشرية سيؤدي حتما إلى فقدان جزء كبير من التراث الإنساني الذي يشكل ثروة زاخرة لن تعوضها _ إذا ما خسرت _ تكنولوجيا العولمة ولا رفاهيتها. وهذا مما يجب أن يسترعي اهتمام الدول والمنظمات الدولية كاليونيسكو... والجمعيات الحقوقية والثقافية الوطنية منها والدولية.

وللحد من تأثير العولمة على الثقافات واللغات الوطنية عموما والأمازيغية على وجه الخصوص، لابد من أن يتم إدماجهافي:

المدرسة: تدريس اللغة الوطنية _ الأمازيغية _ بشكل حديث وفعال، عن طريق تحديث معجمها ونحوها وصرفها، وكذا تطوير الحرف الذي تكتب به، واستعمالها في المجال التقني والعمل على خلق أسماء جديدة للآلات والمصطلحات التقنية حتى تبقى هذه اللغة حية تساير تحديات العصر.

الإعلام: إدماجها في الإعلام السمعي والبصري، وفي البرامج الثقافية والعلمية والترفيهية، وفي الدعاية والإشعار والإخبار حتى تكون لغة الاقتصاد أيضا.

الإدارة: استعمالها في مجال التواصل اليومي للإدارات العمومية، فلما لا تكون لغة لكتابة العقود وعقد الصفقات وكافة الوثائق الإدارية، وتحرير التقارير؟

التنمية الاقتصادية والاجتماعية: تعتبر التنمية البوابة الرئيسة للنهوض باللغات وإحيائها، لأن الإنسان المهمش والمنسي، لا يمكن له أن يفكر في شيء إلا إذا توفر له الحد الأدنى من العيش الكريم. وقد أثبتت التجارب أن التنمية لا تكون ناجعة إلا إذا مُررت مشاريعها باللغة الأم للإنسان المستهدف، لأنه بها يتكلم وبها يفهم ويعمل، اعتمادا على حمولته الثقافية والحضارية.

الأسرة: إن الدور الذي تلعبه الأسرة في تمرير ثقافتها ولغتها إلى أبنائها هام للغاية، وعليها أن تعي أنه بالرغم من كون اللغة الأمازيغية لا تدر على صاحبها دخلا ماديا، ولا ترتقي به إلى أعلى المراتب الاجتماعية، فإنها تحمل تراثا وثقافية إنسانيين ثريين لا يقدران بثمن، ويعتبر التفريط فيهما حماقة.فعلى الأسرة أن تورث لغتها لأبنائها حتى لا تنقرض ويضيع معها كل هذا التراث الزاخر.

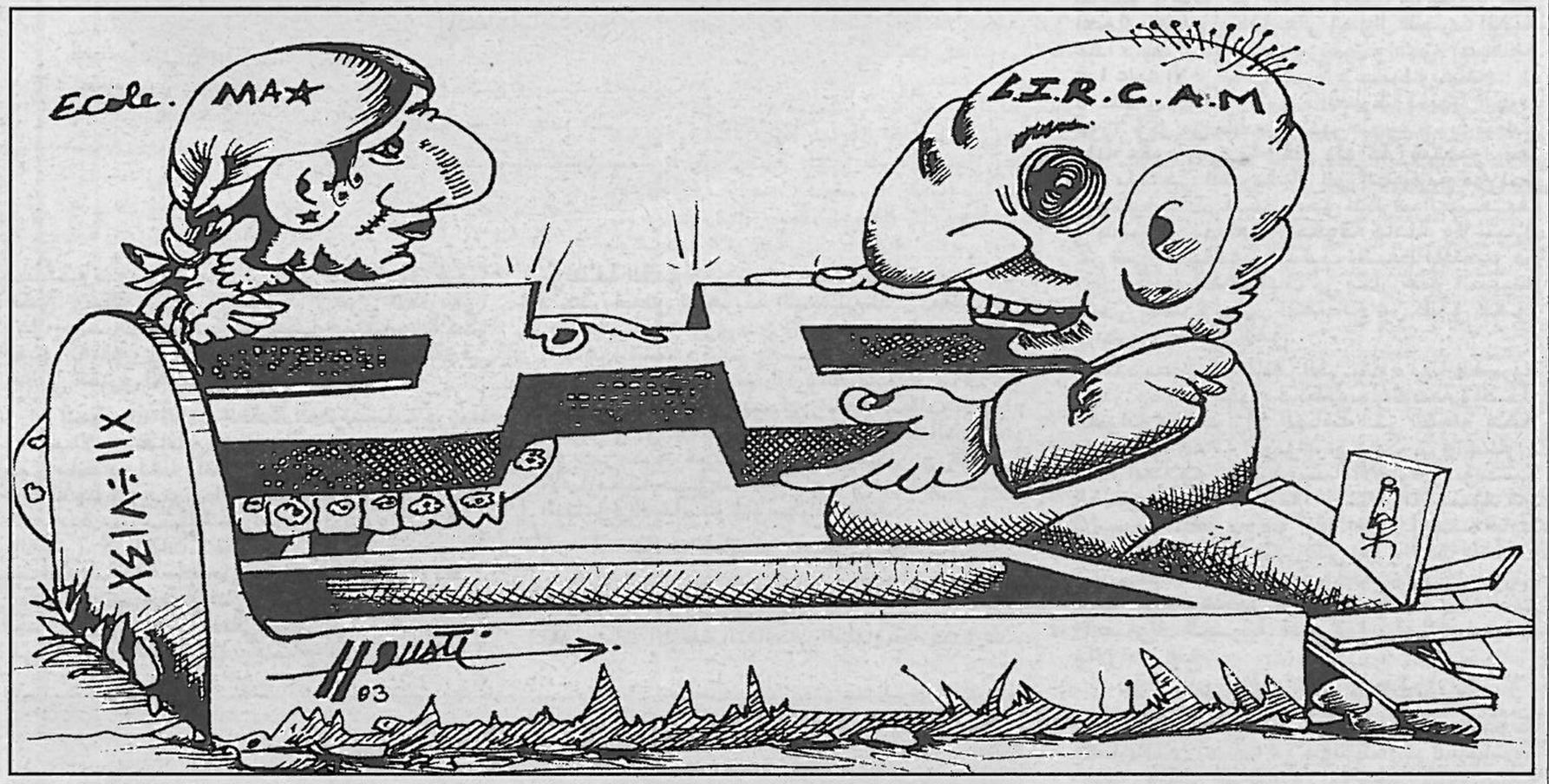
إن ثقافة العولمة الموضوعة في الغرب هي ثقافة تفتقد إلى الجذور التي تربطها بعموم الجماهير...ثقافة تصلنا عبر وسائل الاتصال، تفتقد إلى خصائص حيوية كالعفوية والتلقائية التي تتمتع بهما الثقافات الأصيلة، لأنها صنعت في أفران (كما تصنع الشوكولاطة أو البيتزا) لتحقق أهدافا اقتصادية وسياسية محضة، فرضت على المواطن من أعلى ولا تفهمها أحيانا إلا النخبة التي تعرف لغتها. لكن هذا لا يستبعد أن تكون لها قاعدة شعبية عريضة، كما يلاحظ حاليا في أمريكا الجنوبية (البرازيل...) من إماتة للغات والثقافات المحلية لصالح لغة وثقافة العولمة. والعولمة مثلما تسعى إلى مركزة المال والاقتصاد تهدف أيضا إلى تفكيك اللغات والثقافات المحلية وتعويضها بثقافتها، لأنها السبيل لتحقيق الهيمنة الشاملة.

إن أي توحيد ثقافي لا يؤمن بالتعدد سواء كان محليا أو عالميا سيؤدي حتما إلى تنامي ظاهرتي التعصب والتطرف على المستوى الثقافي والديني (أحمد عصيد: أسئلة الثقافة والهوية في المغرب المعاصر)، حيث عرفت السنوات الأخيرة بروز نوعين من الحركات، حركات إرهابية مدمرة تعتمد على البعد الديني، تأتي على الأخضر واليابس كالجراد... وحركات احتجاجية سلمية ومدنية تناهض العولمة وأيضا السياسات المحلية التي تستهدف إماتة اللغات ومن بينها الحركة الثقافية الأمازيغية التي ترفض محو الخصوصيات اللغوية والثقافية... ومعه أصبح التفاعل بين الثقافات خيارا لا مناص منه.فالعولمة – الوجه المتوحش للحداثة ذ تسعى، كما سبقت الإشارة، إلى تفكيك البنى التقليدية للمجتمعات الثالثية سواء كانت ثقافية، اقتصادية، سياسية أو اجتماعية.

والثقافات المحلية _ من بينها الأمازيغية _ إذا أرادت أن تعيش في ضوء التاريخ وتحافظ على تميزها وخصوصيتها الإنسانية، عليها أن تنخرط في الحداثة الكونية بشكل فاعل، لا على المستوى المظهري (التقنية، الآلات...) بل يتحتم عليها أن تنفذ إلى عمق الحداثة، بمعنى اعتماد المناهج العلمية في البحث والتحليل لظواهر الكون والإنسان، إعادة قراءة الذات والتاريخ قراءة علمية بعيدا عن الأوهام، وأن تعمل على التخلص من وهم تمجيد الماضي التليد، ومن منطق المؤامرة الخارجية؛ أي تبرير تخلفها بتآمر الغرب عليها، أو بسبب الخروج عن ثوابت الدين.

إن التحديث لا يقف عند امتلاك أسباب القوة: الطائرات، الأساطيل البحرية، والمدافع والقاذفات... وإنما يتعداه إلى أكثر من ذلك، إلى تحديث أسس الفكر، ومناهج العلم، وأدوات التحليل.

بحاح عسو -الخميسات



في نهاية الدرس الاستراتي

تتمة ص10

دعها لشأنها. إنها فتاة منغلقة على نفسها، دعيها تنام ما تشاء! ولكن، في اليوم الموالي، تكررت نفس الحادثة، فقلقت صاحبة الفندق، فأخبرت رجال الشرطة والمطافئ، الذين صعدوا إلى الغرفة باستعمال سلم عال. دخلوا من نافذة غرفة الفتاة فوجدوها جثة هامدة، ومن فمها تدفق لعاب أخضر اللون. كانت صاحبة الفندق ترتعد من شدة الخوف. لقد انتحرت الفتاة. وقد شاهد جميع أبناء الحارة ذلك الحدث الأليم. أظن أنني ساهمت في انتحارها بشكل غير مباشر. فتعاملنا الحسن معها قد أثر فيها. بعد تشريح جثتها، قيل لنا بأنها تناولت قنينة كاملة من مهدئات الأعصاب. إن أمثال هذه الفواجع لها وقع كبير على مجرى حياتي. لا أحسبها أمورا تهمني لوحدي فقط، بل هي أمور وجدانية. أنا أفهم الواقع انطلاقا من هذه الحوادث.لن تعرف أبدا أين توجد مكامن السعادة والحزن لدى الإنسان.

لقد تغيرت طنجة كثيرا. عشتُ أزمةً جميلة. أما الآن فالحال مختلف. أغلب أصدقائي أصبحوا فقراء، حمقى، هاجروا البلاد أو غادروا الحياة. كان لديهم ما يصرفونه على أنفسهم، ولم يكن ينقصهم شيء. أما اليوم، وأنا لا أستطيع أن أساعد الجميع، فأغلبهم في السوق الداخل، لا يملكون حتى ثمن تناول الشاي، وهذا أمر يحزنني كثيرا، يحزنني لأنني شاركتهم الحياة كلها.

سأحكي لك عن إحدى عاداتي القديمة ، كنت إذا أردت التخلص من نمط الحياة وسط المدينة، أرحل إلى الفندق الذي كنت أسكن به في السوق الداخل فأستقر هنالك لمدة أسبوع بكامله. وحينما اشتغلت مدرسا كنت أغادر العمل صوب السوق الداخل مباشرة دون المرور عبر الشارع الرئيس (البوليفار)، فيسألني بعض أصدقائي عن سبب غيابي، فأرد عليهم قائلا: "كنت مسافرا"، وإذا أصر أحدهم على السؤال: أين؟ يكون جوابي مدعاة للاستفهام والتعجب: إلى السوق الداخل. كنت أقوم بذلك كي أحارب ملل الأيام الرتيبة. يجب على كل واحد منا أن يبتعد عن رتابة معيشه اليومي. وأؤكد، أنا لست رجلا رومانسيا.

□ ج.س: هل تحب أن يصفوك بالكاتب الطنجاوي؟

م.ش: أعرف تمام المعرفة المنطقة والجهة التي أعيش فيها، لست هيمينغواي الذي كان قادرا على كتابة رواية عن كوبا وفي نفس الوقت الكتابة عن الحرب الأهلية الإسبانية أو أفريقيا. لست مالرو ولا بليز ساندرارس ولا بول بولز الذي يكتب عن الصحراء وغواتيمالا والهند. أعرف جيدا حدودي التي لا تتجاوز مثلث طنجة، تطوان والعرائش. فبالنسبة لي تمثل تطوان مرحلة الطفولة والمراهقة، في حين تمثل طنجة مرحلة الدراسة ثم بقية حياتي. لذلك أشهد على كوني كاتبا طنجاويا ولست كاتبا مغربيا. ويجب أن أضيف إلى هذا أنني لا أدافع على أي تطرف جغرافي. لا يهمني أن يكون قارئ كتاباتي يهوديا، مسيحيا أو مسلما، فأنا مسلم بالتقليد لا بالممارسة. وأنا لا أكتب للمغاربة، بل لمن استطاع قراءة كتبي سواء أكان جزائريا أو كيفما كان جنسه. ترجمتْ رواية "الخبز الحافي" إلى ثلاث عشرة لغة، لأنني أكتب عن المجتمع المغربي كي يقرأه كل العالم. وأقول، بدون افتخار، أنا الكاتب الطنجاوي بامتياز. هنالك أربعة أو خمسة أساتذة حاولوا أن يكتبوا بعض الإبداعات، ولكن تخطيط بعض السطور لا يعني كتابة الشعر. لم يأتوا بشيء جديد. طنجة أنتجت، عدا المرشدين السياحيين، مجموعة حفلات وفتيات حسناوات وغلمان في منتهى الجمال. تربت لدي إحساسات قوية بالشعور الطبقي، بذكاء وفطنة المهمشين في المجتمع، وهذا أمر لا يستطيع أحد منعي منه (...) أنا كاتب ذو موهبة أكيدة، صغير بين الكبار وكبير بين الصغار. أنا شبل بين الأسود وأسد بين الأشبال. ولست بهذا التواضع لأنني لم أبدع شيئا، فأنا من أنا. سأخبرك بأمر هام جدا: إن حياتي أهم بكثير من كتاباتي.

□ ج.س: العديد من المغاربة لا يعتبرونك كاتبا، بل مجرد شخص اكتفى برواية قصة حياته.

م.ش: ولكن من هم هؤلاء؟ من الذي يسب ويشتم؟ لم يجرؤ على سبي جان جونيه ولا تينيسي ويليامز ولا ويليام بوروغز ولا بول بولز. من يسبني هم مجموعة من أولاد الدعارة البيروقراطيين، إنهم نقانق بشرية، أبدان لحمية يا رجل! يأكلون، يهضمون، يتبولون ويتغوطون. من هم؟ وماذا تركوا لنا؟ تنهمك في كتابة رواية على مدى عامين أو ثلاثة أعوام، فيأتي "ولد ال..."، ولأنه دفع 15 درهما مقابل شراء الكتاب يظن أنه يحق له القول بأن الرواية رديئة. ولكن ماذا فعلت أنت "ولدال..." بحياتك؟ دفعت 15 درهما لاقتناء روايتي. لا شيء أكثر من هذا. منذ أسبوعين، قالت مغفلة بتولوز بأن أساليب كتابتي كانت رديئة، أخذت 500 درهم فوضعتها فوق الطاولة. واتجهت إليها قائلا: هذه لك إن استطعت كتابة جملتين سأمليهما عليك، وسوف أرى هل بمقدورك أن تميزي بين الياء والواو. ضعي أنت هنا ٢٠٠ درهم أو نصفها، فقط كي لا تهربي. أمليت عليها جملة باللغة العربية فلم تتمكن من كتابتها.

□ ج.س: اتهمك العديد بأنك كاتب رواية وأحدة لا غير.

م.ش: إن شهرة "الخبز الحافي" سحقتني. وجدت نفسي بين المطرقة والسندان، لا أعرف جيدا هل ابتعدت عني الكتابة أم أني أنا الذي ابتعدت عنها. توقفت عن الكتابة لأن كل كتاباتي كانت محظورة. كان ذلك بمثابة روماتيزم ألمّ بالدماغ: ربما يرجع ذلك إلى أنني قد رويت وعبرت عن كل ما في داخلي في زمن قصير. لقد لخصت مجمل أفكاري بأسلوب موجز، فعلى الكاتب الحقيقي أن يعترف بقدراته وبمكامن عجزه. أنا لا أرغم مصيري الأدبي على ما لا يطيقه، وإلا كانت التخمة وكان الإسهال مصيري ومصير قرائي. يهمني في الأدب أنه وسيلة للتطور، وإضفاء مسحة الجمال على رداءة الحياة، ولا زلت ضد "التغوط" الأدبي الذي ملأ العالم بغية بلوغ الربح السريع ونيل الجوائز. إنه التبن "ياخا" بالإسبانية، وأنا لا أعني هنا العادة السرية، بل التبن الذي تتقد فيه النيران بسرعة. لقد أحسن هيمينغواي فعلا حينما وضع حدا لحياته لأنه لم يعد يستطيع الكتابة. إنه من الجبن البقاء على قيد الحياة إذا لم تعد قادرا على الإبداع. حينما أعجز عن التعبير، أصمت، وكذلك فعلت لمدة أكثر من 17 عاما. لم أكتب ولو حرفا واحدا، كنت أستجمع أفكاري. عندما تُرجمت روايتي "الخبز الحافي" إلى الفرنسية، وسلموا لي حقوق المؤلف، بدأت الطلبات تأتي من كل جهة متوسلة كتاباتي التي لم أنشرها بعد. فعوض الكتابة، كنت أفتح الصندوق وأخرج منه جميع كتاباتي. ولما قررت العودة إلى الكتابة من جديد كان ذلك صعبا بالنسبة إلي؛ وفي يومنا هذا، وبسبب الحاسوب "ولد ال..." لم أعد أتذكر حتى ما كتبته في الشهر الماضي. حينما أراجع وأقارن بين كتاباتي وقصصي في الستينات فإنني أجد بأنها كانت أشد قساوة من إبداعاتي الراهنة. كانت بمثابة صفعة قوية، لأن كتاباتي صدمة من الناحية الأخلاقية، وذلك أمر يزعج الكثيرين، فيهاجمونني. لا زال الأمر على هذا الشكل حتى يومنا هذا ولكن بحدة أقل.

□ ج.س: هل تعتبر "زمن الأخطاء" كاستمرار للخبز الحافي؟

م.ش: نعم إلى حد ما، غير أن هنالك اختلافا في بعض الأوجه، فانطلاقا من الصفحة 100 لا يمكن اعتبار "زمن الأخطاء" سيرة ذاتية مثل "الخبز الحافي"، بل تصبح تفكيرا في السيرة الذاتية. لقد كتبت "الخبز الحافي" انطلاقا من "البطن"، أما "زمن الأخطاء" فيستند على مرحلة رشد في علاقتي بالأدب والمجتمع. في الرواية الثانية ركزت على التحليل والتبصر. حللت بشكل شاعري أخبث مظاهر حياتنا. ركزت على المظاهر اليومية لحياة المجتمع، وحللتها بجمالية الخيال، فالرجل الذي يفتقد الخيال أعتبره مجرما ومتوحشا. لقد استرجعت رشاقتي التي كنت قد افتقدتها بعد عناء طويل. كتبت رواية "زمن الأخطاء" في مدة شهر لا أكثر، ولكنها رواية كانت كامنة في ذاكرتي، ذاكرة الأمي الذي يحفظ الأشياء عن ظهر قلب ولا ينساها. أكتب أولا في خيالي وحينما آخذ القلم أجعله يرسم باستمرار وبدون هوادة. قد تجدني جالسا في المقهى وأنا أكتب، أو متنزها في البوليفار وأنا أكتب. تلك طريقتي في الكتابة. لماذا يجب علينا أن نكتب أي شيء، نفايات أدبية؟ للحصول على الربح السريع، لتناول العشاء في مطعم فاخر، للعيش في منتهى الرفاهية، لممارسة الجنس مع فتاة حسناء؟ لا. ثم لا. لن أقبل بذلك!

□ ج.س: من هنا نرى جبال إسبانيا في الأفق، ونرى أضواء سيارات ومدينة "طريفة" خلال الليل. إنها مسافة 13 كيلمترا نعبرها بواسطة زورق شراعي في مدة 16 دقيقة حسب قول صحافي طنجاوي، ورغم ذلك أصبحتْ بعد توقيع معاهدة شينغين صعبة المنال بالنسبة للعديد من مواطنيك....

م.ش: لا يا رجل، تمهل! إنني أعرف جيدا هدف سؤالك. مشكلتنا نحن؟ على كل حال، أنتم هم المعنيون بالجواب على هذا السؤال. لن أتحدث عن "الحراكة". فإن أردت عبور المضيق سوف تمنعونني من ذلك، وإن عبرته ستلقون القبض علي وسترسلونني مثل أي سلعة من السلع!!

النص الأصلي:

Jurdio Esteva: En el fin del orienta- × lismo, Fundamentos de Antropologia (4 y 5), Granada, 1996, P 94..101.

ترمي هذه المعالم الإبداعية إلى تعزيز الصمت الحقيقي، ذاك الذي يداهمنا، مثل نشوة شاهقة، كلما انهينا قراءة نص ما كنا نبغي له الإنتهاء. صمت نقدره و نبجله، ونهتف لخالقيه و مبدعيه . أما ذاك المفروض علينا بعد كل خطوة فلن نتخلص منه قبل ورود نصوصكم الهاربة من الضوضاء، نصوص نحلم أن تحدث كثيرا من الصمت، وأن تنقذ قارئها من لوثة التكرير الضاج بالأصوات... لنفرق الجوقة أولا، و لنمدح عزلة الضوء ما استطعنا الخلو

قصيدة

أَيُّها الشُّخرُورُ
المَلفُوفُ
بِجَبَّةِ الفَخِّر
بِجُرحِ الحَرَف
بِسِفرِ الذِّكرَيَات،
بَاحَ الغَيمُ
بِصَوتِ المُنَادِي،
أَنَى صِرتِ يَا شُكرِي
سَيَبقَى دُخَّان خُبزِك
يَلثِمُ الثَّرَى
يُبَلِّلُ غَيمَ اللَّفظِ
يَخضَرُّ شِعرًا
يَسأَلُني:



أَيُّ شَيءٍ سَيَبقَى
غَيرِ هَذَا المَتنِ
المَلفُوفِ
بِعُرِي الانكِسَار؟!
أَيُّها الشُّخرُورُ
الغَائِبُ الحَاضِرُ
فِي ثَوبِ جُرحِنَا
مَن يُدلِّ يَدِي
عَن آخِرِ بَوحِ
فِي السَّهرَةِ الأَخِيرَة؟
عَن غَيمَةٍ
تُبَلِّلُ نُورَسَ مَرشَانَ
تَعزِفُ لَحنَ الصَّمتِ
كُلَّ أَجرَاسِ
المَدِينَة.

محمد عمّاري

شذرات

لا تهمني أن تكون اشتراكية أو ليبرالية. لا يهمني عنوان حلمي، بقدر ما تهمني تفاصيل وقعنة الحلم من أجل أن أحلم حلما آخر، أحلاما بألوان ليست متماثلة، وتحت شمس أخرى هي نفسها التي لا تراني الآن بوضوح على هذه الضفة الناتئة.

***

أريد أن أحيا الحياة التي منحتني الحياة إياها. الحياة اسم لفضاءات مختلفة، وحركات، منها ما أطلق عليه صفة الواقعية، وان لم تكن كذلك، وهناك مايسميه بعض الحالمين "المتخيل"، وهو عندهم واقعي وإن أصر الواقعيون على نعتهم بالسخافة.

***

يبدو أن هناك صراعا ما. بالنسبة لي أحيا في المنطقتين معا، في نفس الأوقات وفي غالب الأحيان. أحيا كلا البعدين ؛ أحيا واقعية لتستمر الحياة، وأحلم واقعية لأبرر هذا الاستمرار، لأجد مبررا للحياة نفسها.

***

ما هذا الذي أحس به من خلال مفاجاتي لنفسي في دائرة تبدو لا معقولة مع أنها واقعية؟ كيف لي أن اتجرأ وأقترف هذه الحماقة، حماقة الاعتقاد أن باستطاعتي الاختيار بين أن أحيا واقعية أو حالمة؟ طالما أن الجوهري في كل هذا هي الحياة نفسها دون أن تتدخل فيها اختياراتنا، ما جدوى أن أختار أو أفضل حياة على أخرى ما دمت في اختياري للواحدة إنما أقدم تبريرا للحياة الموجودة ذاتها؟

***

أعتقد الآن، بعد أن تذكرت ما كنت بصدده، أن النغمة التي تطربني ليست هي اختيار أو تفضيل بين عناوين لنفس الحياة، إنما هي – مع أنني لست متأكدة– امتلاك لروح أخرى جديدة في حركة مستمرة كالسيل لتتجدد الحياة، كي تحدث فينا ذلك الذهول والبهجة المتجددين على الدوام... (اللذين من أجل مجرد الاحساس بهما نضحي بحياتنا لهذه الحياة).

***

أجدني غير واثقة فيما كنت أريد قوله ولم أقله ولا حتى فيما أفترض أني قلته عبر هذه الكلمات. ليس بسبب مرض الشك في كل ما توصلت إليه من خلاصات بمجرد أن اعتبرتها معقولات، ولكن بسبب أن كل ما قلته وما لم أقله عن الحياة، لايعنيني أحدا سواي، ولا يعنيني حتى حياتي نفسها.

***

شكي ينبع من وعيي بأن ما نسميه الحياة بالجمع والشمول ليست ملكا لأحد بعينه، وبالتالي فهي ليست حياتي الخاصة، ولا حتى حياة أناتي الخاصة. ولا أستطيع بتجديدي لروحي، بالكاد، أن أجدد حياتي (وحتى هذا أشك فيه، فكيف لي أن أدعي هذا الادعاء السخيف؟!

***

أن أجدد الحياة بتجديدي لروحي...

***

السؤال الذي يحيرني لم أعرفه بعد. هناك مسافة، مهما بدت متقلصة باستمرار الحياة، فهي موجودة دائما، وإن كانت متخيلة، بين الواقع والحلم.

***

هذه المسافة ليست دائما هي التي تفصلني الآن في هذا الركن البارد تحت الأرض تقريبا، عما أعتبره سريري البارد هو أيضا. إنما أفكر في المسافة بين من أنا وما أنا فيه وبين ما أريد أن أكون وما أكونه في ثنايا هذه المسافة.

***

يضيع السؤال. فأكون، لتستمر الحياة، مضطرة لتبريره.

***

لا أعرف بالضبط ما أريد... أريد كل ما أرغب فيه، حتى هذا ال "ما أرغب فيه"مجرد إحساس ملتبس بشكل غير مفهوم. لكنني، في الحلم، أعيشه بوضوح: هل أكذب؟ الجواب على السؤال مجازفة حقيقية لكن حلمي حقيقي وملح.

***

لم أصرح بحلمي، لماذا؟ لأن لكل واحد من البشر (الطبيعيين) أحلامه الخاصة. وما العنوان إلا تبرير لاستمرار الحضارة كما نريد... لكن الحياة لا تكون أبدا كما نرغب. بين رغباتنا وهذه الاستحالة تسافر الحياة الحقيقية الممكنة واقعيا. هذه الاستحالة، نفسها، هي التي تولد لدي باستمرار رغبة علنية وفيزيقية في الموسيقى...

***

هذه الرغبة تولدت لدي فقط، ربما، لمداراتي لمأساتي الواقعية؟ في النوم...عارية..... في حقول عرتها شمس ربيعية عارية، اخضرار عار، مع نمنمات ألوان ضاجة بعريها و..... موسيقى دائمة..... وبسبب هذه الاستحالة أيضا أجدني امضطرة؟! مخيرة للنوم في سريري البارد.

بالهمس

* الأعزاء محمد مطيع (آيت بوعياش)/ محمد الوكيلي/ سعيد اليزيد (الحسيمة)، نحتفظ بقصائدكم الصادقة، وننتظر دائما رسائلكم.

* الأخ عبد الجليل التوزاني (أمزورن)، توصلنا بقصتك القصيرة، وإذ نشكر لك مشاعرك الصادقة تجاه تيفراز نرجو لك مزيدا من الاكتواء الابداعي، بانتظار قصص أخرى.

* للسيد (أفواد) الذي يرجو أن يكون "مراسلا يوميا" لتيفراز، نقول إن "قصتك" التي تحمل عنوان "يوميات الغريب" (بدل "الشاعر" كما في الأصل!) قد خيبت ظننا فيك تماما، حيث اقتنعت نفسك أنك صاحب عواصف وجبران، نرجو أن تقنع نفسك أيضا بأنك غريب عن "تيفراز ن داريف".

ميمون الوليد

نهضت من الفراش منهكا، كأنما رأسي لثقلها صخرة صماء. لم أنم خلال الليلة الماضية إلا بعد شروق الشمس. الغرفة مبعثرة، أوراق، آلات، ملابس مطروحة هنا وهناك على الأرض. نهضت وصببت الماء البارد على رأسي، لبست ثيابي، شربت كأس قهوة، ثم خرجت.

***

كانت محطة القطار مكتظة بالناس الذين يتسابقون حاملين حقائبهم بين أيديهم، بعضهم يصعد إلى القطار، والبعض الآخر ينزل منه.

بزوايا المحطة مجموعات من الشباب، بعضهم "يتنفخ"، والبعض يحتسي، وغيرهم يزاول النبش بتمامات الأزبال عساه يجد ما يأكله.

أنا على الكرسي بقهوة في اليد، على حافة السكة، حيث تمتد خطوط الحديد مثل أفاع ناعمة الالتواء. أنا هنا بالانتظار، كلما وصل قطار إلى المحطة أقول إنها ستكون حتما بين ركابه، فيقفز قلبي.

انفتح باب القطار. بدأت الجموع البشرية في الخروج. ملحتها نازلة، إنها هي، بشعرها الأسود الذي أطلقته فانسدل على كتفيها، وبملابسها الطويلة المناسبة تماما لقوامها. تعانقنا وسالت دموعها، كنا لم نتبادل النظرة منذ مدة بعيدة.

بعض سحب تشق الأفق باثرة رذاذها. بدا في يد نسير على الشارع الكبير. نظرت إليها فألفيتها مطرقة الرأس بالتفكير:

– ماذا أصابك؟ لماذا أنت غاضبة ولا تتكلمين؟

– لا شيء.

– أنا أريد أن أقول لك كلاما نابعا من قلبي الصافي. أنا أريد أن أتزوج. سأجعلك أما لأولادي. لقد تعبت من التيه والجنون!

بصوت متقطع يمتزج فيه الشهيق بالبكاء، تنهدت وقالت:

– زوّجني... بابا... بعشرين ألف خولد..

***

جلست وحيدا على حافة النهر، ألقي بالحصوات إلى الماء، ثم أخذت زجاجة الخمر، وابتلعت كل ما بها:

ليلعن الله كل صلة بأصل الحياة!!!

(الاه عينعر طاصيرث ن باباس ن ثوذارث...!

* ترجمة عن الأزرق عن: "تيمادجاس"، الوليد ميمون، دار "تاسدوت ن موبولايي"، أوتريخت، ١٩٩٦، ص ٨٢..٨٥

Awal usepdi

Tifraz-a usenflul rezzunt ad-ssemparentasepdibutidet` wenparnep d-itasen` am tzurift ufella` melmi ma nekkes tipuri n ci n tira ur dasent nrezzu qe;;ull! D-ij usepdi! Nteggas luwqar d usempar! Netbarra%ed i imsenflal d ayt-bab inesl Maca asepdi nni ixnep d-iwe;;an melmi ma neksi vurif` ur z-ges nteffep %ama w: entid Tira nkum id-iregwlen zi driz` Tira-yanessitim-asentad-ggentasepdi d-ameqran` ad-fekkent amepri nsent zeg uxiccu n driz icemxenll! G umezgaru` aneb:a jjuqet` ad-nawi x tfawt mec%al ma nezmar akides nennuffar!

Amezli

T]ajip cem

Munoim El Ayyubi

Gzem ullll
Rami =esselqid
Azul inu
I leowinl

Snimep ame;;a
I wussan
Ar mi iqqu] ume;;a^
Uzpent ti;awinlll
Tifraz inem zdati
Ilsegwusa ur tent-meùùin

Tettarp i wussan
Ur tilin ur hegwin`
A&-bedden g ij umkan
Netnin ur tenhezzin!

Atip ad tedwel
Ten iksin ul inull[!
Atip ad teoqeb
Ssin!

T]ajip cem d-tfuyt
Yeplin
X ayt-bab yyefri
Yekkin a;;as ur te,rinl

T]ajip cem d-an,ar
Iffudent tmura`
A;;as yekka ur yekwti!

T]ajip cem d-afriw
Ufarruj
Oemmars ur ye:win`
Lxezrat gi tudart ur issinlll
T]ajip
Cem!

Tanfust

Aveqqil d uzidan

Xir-ddin Ljamioi

G ij n teorurt mani leowin d-avemma: d lefwaù n benneoman` weùdi qqim-p` ula d-ij aqa= din` s upennij n tefrillas x yiles inu` iswazulayd arrip xas` nta d Oebdu qqao toawad-p-as=l S wawal apirin d upira` kul awal ijebbded umas` x yellis n Oizi Omar oawd-p-as inna-y-d\

- Maparll cek ur park bu lexbar x min ituwqioen[

S lla arrip xes innay\

- Baba-s irezzu atyewc i wmetluo nni n Soidl

Wami g-ikemmel awal ines` astiqa iweqoay ci` zuwpent-ay tmeggi,in` uffent-ay ti;awin acmi ila ibedd-ay u]emmu,` ur nnip ar mi-d-ne;;qep` nnip-as\

- I ntat s lexba] ines x min ituwqioen amya[
- Ntat olayen at:u s lefraùt{
- Min teqqa]d[[!! Nnip-ak manaya ma z park nip imellep xek ci n ijjen[!!
- Qao min d-ak nnip ur d-ay tettiqd ci` tcettaù-p nec ahlll[[!
- Lla ur illi nnip-ak tcettaùed` arezzup a&-snep mani-s d-ak d-ikka manaya[!
- Sellep-= s ume,,up inu i:enna; wami ila Oizi Omar itoawad-as= i baba ùennul
- Mux-as i manaya[{ Ntat tuwca-y awal ur tmellek mala ur llip nec` nec ammen nne:nil
- Iwa bnadem ur pars min-pa yegg` pir vvbar` oawd ak-inip` tiùramin-a i yyi:a amya i-ggint x umezgaru` maca par umeggaru mmalent-ak udem nsent n tidet` udem icettiùen d ubuvar x yargazenl
- Lla a Oebdu nnep` Fa;ima d ij n tùenjirt nne:ni maci n manayal
- Nec min xi qa ggip=` min yellan qa nnip=lll Oawed tesned` manaya d-ccpel ineklll S ttisir!

Yuggur` ijjay din qqimep` ur ufip a&-ùekkarp` ur ufip a&-spuyyepl Xezzarep mapar lebda tudart teskananep pir min isseù]aqen ulawen` d min d-iseqnunnuyen ime;;awenl

G uxemmem g-min sellep` d ufekkar g umelqi amezgaru pa =ara` d wawalen inenna` d tarjiwin inurja marra` iqnunyayd ij ume;;a yeùma` ur sùissepIll Aqay t]ajip Fa;ima` nnip-as ad-tas ad-tagem uka anemmelqa am lebdal }ajip` weùlep, ula d-ij yusid yecca]` nec qqimep din d-ametluo weùdi` ur yenni tta wami yeoda nha] nnil

Tudecca ines` zelmept` ag ubrid` gi leowinl Ul inu iwada idwel iftuttes am tmeqqa wen,ar` ntat abeddi d-wenni` am tpi:et u,pa]` apembub d-nwa]` tifraz nnes ,ebùent` gsent bnadem a&-iwada` at-iùfe: Rebbi wen d-as ioedlen avewwa]lll S ij uciyya] z pa]i ar pa]s anemmeqa par =aral Ntat tugi ad-tar tugi ad-texzar` tew]ep astiqa ye;;fit buveffa]l Mix oad rezzup as-oawdep as-pa]ep` s uveqqil n Oizi Omar x tmejja]t ihwa-d iùmal Ksip tipuni g fus teloep a lexla` ur d-arrip lbal pir gi lwes; ifudar` i:hard am Jjenn zdat inu` azidan g fus ines` ti;awin a barra` innay\ " Udem inek a&-iharra!"l

Imzuren

Asupel

Tasegnut i tudukla¥

Wafa Loemrani

Cek rid d-agezzum amezgaru id-yuzlen zi twarna
Cek rid d-asenti u,iyya]` rid
Urid d-anegwaru u,uyet
Tesmunanep twa]dit ig yetsulen tirja ines
Tespimanep tezdayt gi lùikmet ines
X tma n we;;u nessufep tidrin
Nenna qa necnin d-absisseq
Uka nemseb:all
Tamurt pars aqeddec isni= wen yenpin tununuwtl

A]ba;\ 7,2,87l

¥Asupel n Munoim Azegza
¥ Wafa Loemrani\ (Al Anxab)` ta,rigt n Tamunt Imaruten n Lmeprib (Amazrar usenflul) ` taddart n Almaoarif Aljadida` A]ba; 1991` asebter 57l

Tizlit

Tekksep-am tifraz gi tziri

Yusef Upbal

(1)
Tarip tudart
Yellan inu`
Izli d-taddart
Ul d-lbinu{

(2)
Yuùlay ufus
Z ila yeksi`
Idùa yefsus
Leqlem yexvi!

(3)
Inu tabrat
Sekkept i niclll
D-aman x trat
Messren akbic{



(4)
I:es yu,a
Ura ye;;fay;
Tarjit ten,a
Tizlit tesfay{

(5)
Sijjed xafi
A taziri{
Aqay ùafi
Rezzup tayri!

(6)
Rezzupt ima
I wul yarpin
X Lùusima
Iday yevpinl

Udmawen

Meryem RIFANA

(07¸07¸1994)

Farid El Hemdiwi

Meryem RIFANA nip tatbirt tumlilt ig ye;;awen g ujenna n tmusiqt s min yeksi isem-a d-tqel amen tella d-tame,yant^tessent apennej d leoya]t zeg wami tella d-tisegmit amxmi ixelqed akisl



Udem d ame,yan maca isu]af a;;as ar da= ag webrid azegrar it-itrajan^ tezzudj ag yexf-ines atili d-tmijja n tem,i tefsus ti,i: toedda igmiren uvenne; ar tisi n wulawen i yen id-as isellen mani ma temmars d-tanebjiwt` a;;as d-ime;;awen i,rip tazlend` a;;as d-ilsawen gnun` a;;as d-imeqranen ibedden s lewqar i tej:it yessawalen^ tedwel d-tmijja taùnint n tvedma n "RIFANA"l

Zi taddart iùudriyyen ag tmesmunt n "IZRAN" ila pars 6 isegwusa (2000¸2001)^ d Wejda(2002)` d Sekwila Tasebbanyut (Mayyu 2003)` d wa;;as imsagaren gi tamdint n Lùusima ag wa;;as n tmesmunin^ d-tameù:art gi Sekwila n Fa;ima ?,uhra (Lùusima)l Pars 9 isegwusa` s min teg tujariten waxxa ur parnep sekwilat n tmusiqt d upennejl S tzemmar d ubrid-a ine:far mli ufip ateqqimed d-tame,yant nip

Mri ufip a&-dewlep d-ame,yan

Akim d-arep leoya]t inem

Akim amsep la d nnic zeg ucar

Ig yumsen iùettawen inem

Akim oya]ep "ùida mida"

Amteùsabep i:u:an inem

Akim oya]ep "tanufra" ad-plip

X u]aq inem

Mli ufip ateqqimed d-tame,yant akim ksep i leoya]t imezlanl

Tibratin imepran\

Muùemmed Bucexxar (Lexmisat)\

Netqad-ak x tebrat inek d tira inek yullpenlll Nessitm ane;;ef asupel inek gi min d-igguren zi wussanl

Karikatur



Awalen itmutuyen

Zi Tcina n zik

(1) Law Tsu\ (750¸490 zdat ululi n Lmasiù)
Itegg ur tyewwi gi ùed
Itegg ur yet]aji walu
Xmi itekkes timegga ines` rid iteqqen parsent`
Timegga ines a&-qqiment. [...]

(2) Kunfucius\ (550¸480 zlull)
Ur zmirp a&-slemdp a&-issiwel i wen ur iteggen tizemmar ines ùuma a&-issiwell

(3) Mu-Tzu\ (479¸381 zlull)
Wen mix oizzen miden ioizz xsen^ wen itsezguren miden tsezguren=l Wen itoiffan miden toiffan=l Wen itenoeddan x miden tenoeddan xesl

(4) Cuwang-Tzu\ (369¸286 zlull)
Tudart tmun ag lmut` lmut tneddeh tudart` maca man wen ig yesnen azraf nsent[lll Wami tudart d lmut tmunent ag wayawya` mapa] pa nebba]wi zeg-sent[

(5) Cag Hing\ (78¸139)
Ajenna d-tamellaltl Tamurt d-far, inesl

(6) .aw Tvin (372¸427)
Ul yegwjen isnuqu]ed tanzruft x yexf inesl

(7) Han Yuw (768¸824)
Wen itpiman gi tisi n wanu ùuma a&-ixezzar par ujenna` d-ame,yan i=-itafl

Tinepmisin

Ttilifizyun Amazip (BRTV)

Zeg umezgaru n Nuwenbir 2003` ttilifizyun amazip (BRTV) ixeddem zi 12 uzir par 12 n llilt (X tsaot n Baris)l Maca zi Yennayr 2004 ataf ixeddem 24¸24l

(BRTV) twa;;af i:a x tefrikunst-a\

Sat Hu;bird 6

Tafrikunst 11` 034 GHz- 11° E¸ Vl

Wen irezzun a&-issen a;;as x ttilifizyuun amazip ad-issij dani\

wwwlbrtvlfr

Afus deg ufus ag imekdawen

Tamesmunt imeù:arn iqdimen n Llisi Mulay Oli Crif` d tmesmunt "Tuya" ` d tmesmunt "Lxuzama"` ggint ijj ubeddi d-avebùan ag imekdawen n Lùusimal Gi wass n 14¸12¸03 yuqeo wawal x tmekdawt d min pars yeqqnenl Gi wass n 20¸12¸03 itwag ij umsagar n lepnuj d tmusiqt d yezlan` amsagar-a ismun a;;as wudmawen ig yarcmen apennij d usenflul imazipen gi Lùusima\ Oali Uccen` Xalid Rrami` Sullit` Hammat` Oebdelùeq Twattun` Majid Tirelli` Meryem RIFANAlll Nessitem ad yili manaya d-tabrat i yen irezzun ij n tudart tekna i marra imekdawenl

ⵙⵓⵔⵔⵉⵖⵏ ⵉ ⵜⵖⵓⵔⵉ ⵏ ⵜⵉⵎⵣⵖⵓⴰ ⵏ ⴰⵔⵉⴼ
Isklilen i tyuri n Tifraz n Arif

ⵜⵉⵎⵣⵖⵓⵜ	Asekkil Alatin	اسكّيل اعراب	ⴰⵎⵙⴰⵙⵓ ⵙ ⵜⵉⵎⵣⵖⵓⵜ	Tiyuri s ilsawen n Arif
ⵀ ⵀ	B b	ب	ⵙⵀⴰⵍⵍ	Ivawn
ⵎ ⵎ	M m	م	ⴰⵎⵛⵎ	Amcum
ⵡ ⵡ	W w	و	ⵜⴰⵡⵉⵣⴰ	D/Twiza
ⴼ ⴼ	F f	ف	ⵜⵉⵎⵓⴰⵙ	D/TiF(r)az/s
ⵟ ⵟ	T ṭ	ط	ⵓⵉⵛ !	Sniṭ !
ⵄ ⵄ	D ḍ	ظ	ⴰⵄ ⴰⴷⴰⵢ ⴷⴰ	Ad ddary da
ⵜ ⵜ	T t	ت	ⵜⴰⵢⵏⵉⵜ	D/Taynit
ⴷ ⴷ	D d	د	ⵜⴰⴷⴰ	D/Tanda
ⵚ ⵚ	Ṣ ṣ	ص	ⴰⵚⵉⵔ	Aṣir
ⵟ ⵟ	Ṭ ṭ	ط	ⵜⵉⵜⴰⵡⵉⵏ	D/Titawin
ⵙ ⵙ	S s	س	ⵜⴰⵙⵓⵙⵉⵜ	D/Tasusiṭ
ⵣ ⵣ	Z z	ز	ⵉⵣⵔⵉ	Izri
ⵥ ⵥ	Ẓ ẓ	ظ	ⴰⵥⵓ	Aẓ(r)u
ⵚ ⵚ	Ṣ ṣ	ص	ⴰⵚⵎⵎⵉⴷ	Aṣmmiḍ
ⵏ ⵏ	N n	ن	ⴰⵎⵓⵏⵉ	Amuni
ⵍ ⵍ	L l	ل	ⴰⵔⵉ	Ari
ⵔ ⵔ	R r	ر	ⵜⴰⵔⵉⴼⵜ	D/Ta(r)ifiṭ(ct)
ⵕ ⵕ	Ṛ ṛ	ڑ	ⵜⴰⵕⵡⴰ	D/Ta(ṛ)wa
ⵊ ⵊ	J j	ج	ⴰⵊⵊⴰⵊ	Ajjaj
ⵛ ⵛ	C c	ش	ⵜⴰⵛⴰⵍⵍⵉⵜ	D/Tacellḥit
ⵢ ⵢ	Y y	ی	ⴰⵢⵢⴰⵡ	Ayyaw
ⴽ ⴽ	K k	گ	ⴰⴽⵉⴷⴰⵔ	Akiḍa(r)
ⴽⵯ ⴽⵯ	Kʷ kʷ	ڭ	ⵉⴽⵯⵜⴰ	I(k)wṭa
ⵅ ⵅ	G g	گ	ⴰⵅⴰⴷⵉⵔ	Agadi(r)
ⵅⵯ ⵅⵯ	Gʷ gʷ	گو	ⵜⵉⵅⵯⴷⵉ	D/Tigwḍi
ⵇ ⵇ	Q q	ق	ⵜⵉⵎⵇⵇⴰ	D/Timeqqa
ⵖ ⵖ	Γ γ	غ	ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ	Lmeγrib
ⵅ ⵅ	X x	خ	ⴰⵅⵅⴰⵎ	Axxam
ⵄ ⵄ	Ɛ ɛ	ع	ⴰⵄⴰⵙⵓ	Aɛ(r)u(r)
ⵃ ⵃ	Ḥ ḥ	ح	ⵍⵃⵓⵙⵉⵎⴰ	Lḥusima
ⵀ ⵀ	H h	ھ	ⴰⵀⵉⴷⵓ	Ahiḍu(r)
ⴰ ⴰ	A a	أ	ⴰⵙⵉⵡⴰⵏ	Asiwan
ⵓ ⵓ	U u	ؤ	ⵓⵔ	Ur
ⵉ ⵉ	I i	ئ	ⵉⵏⵉ	Ini
ⴻ ⴻ	E e		ⴰⵏⴻⵜⵊⵉ	Anevji(w)

Les Fonctionnels en Tarifite

Hamid SOUIFI*

On parle encore des « indicateurs de fonction » ou des « monèmes relationnels » puisqu'ils servent à établir un rapport de dépendance entre deux unités. Ils relient les monèmes dont ils doivent préciser, ou marquer, les rapports qu'ils ne peuvent pas exprimer au moyen du sens. Les noms qui suivent les fonctionnels manquent toujours l'état d'annexion.

Selon les éléments qu'ils peuvent relier dans le vocabulaire quotidien, on peut distinguer les monèmes fonctionnels figurant dans le cadre de la phrase verbale simple et les monèmes subordonnants qui apparaissent dans la phrase verbale complexe.

Généralement, ces fonctionnels actualisent les noms qu'ils déterminent. Aucun autre élément ne peut les séparer.

Ex.

i-raḥ γa taddat** « Il est parti à la maison/ Il est rentré chez lui »

i-cca x missa « Il a mangé sur la table »

y-usi-d ag wuma-s « Il est venu avec (accompagné de) son frère »

Dans un énoncé ou se manifestent deux déterminants (noms, pronoms...) reliés par un cordonnant, la présence du fonctionnel n'est obligatoire que devant le premier nom déterminé et non devant le second.

Ex.

i-cca ag wuma-s ḏ wučma-s « Il a mangé avec son frère et sa sœur »

i-cca ag nta ḏ nttaṯ « Il a mangé avec lui et (avec) elle »

i-cca ag wa ḏ win « Il a mangé avec celui-ci et (avec) celui-là »

Les unités :

Ils sont nombreuses et ils connaissent, parfois, plus d'une variante :

* gi « dans ».

Le fonctionnel se réalise [G] quand il est suivi d'un nom en état d'annexion. Cette réalisation est le résultat d'une assimilation de [i] et de [g].

Ex.

Gwanu /gi + wanu / « dans le puits »

Gwur / gi + wur / « en plein cœur »

* x « sur ».

Le fonctionnel se réalise sous cette forme lorsqu'il est directement suivi d'un nom en état d'annexion.

Ex.

Uzr-n x uyaẓiẓ « ils ont couru derrière le lièvre »

Lorsqu'il se combine avec les pronoms affixes « compléments indirects», deux constatations se présentent :

- Soit il se réalise : x, dans ce cas il se combine avec les pronoms « compléments indirects » (ay, ak, am..).

- Soit il se réalise : xf tout en se combinant avec les mêmes pronoms « compléments indirects », privés du support : [a]comme on peut le constater d'après le tableau suivant :

Masculin-Singulier
xa(f)-i « sur moi »
xa(f)-k « sur toi »
xa(f)-s « sur lui »
Masculin- Pluriel
xa(f)-np « sur nous »
xa(f)-kum « sur vous »
xa(f)-sn « sur eux »
Féminin- Singulier
xa(f)-i « sur moi »
xa(f)-k « sur toi »
xa(f)-s « sur elle »
Féminin- Pluriel
xa(f)-nγ « sur nous »
xa(f)-knt « sur vous »
xa(f)-snt « sur elles »

*** s « avec, au moyen de ».**

Il précède toujours le nom qui manque l'état d'annexion, l'adjectif, le numéral, le synthème démonstratif ou le syntagme possessif.

Ex.

y-usi-d s ukarru « il est venu avec (un) le chariot »

y-usi-d s ijj ukarru « il est venu avec un seul chariot »

y-usi-d s ubarkan « il est venu avec le noir »

y-usi-d s ṯ-in « il est venu avec celle-là »

y-usi-d s ṯ-nniynu « il est venu avec la mienne »

*** ag ¸ akid « avec, en compagnie de »**

Le fonctionnel se réalise : ag, lorsqu'il est directement suivi d'un nom en état d'annexion, d'un pronom personnel indépendant, d'un synthème ou d'un syntagme possessif :

Ex.

y-usi-d ag usaḏun « il est venu avec le mulet »

y-usi-d ag nta « il est venu avec lui»

y-usi-d ag wa « il est venu avec celui-ci »

y-usi-d ag wnnynu « il est venu avec le mien »

Le fonctionnel se réalise : akid, lorsqu'il se combine avec les pronoms affixes. Au singulier, le [d] peut disparaitre (sauf à la 2ème personne féminin) sans que la signification du synthème soit mise en cause.

Masculin-Singulier
akid-i « avec moi »
akid-k « avec toi »
akid-s « avec lui »
Féminin- Singulier
akid-i « avec moi »
akid-m « avec toi »
akid-s « avec elle »
Masculin- Pluriel
akid-nγ « avec nous »
akid-kum « avec vous »
akid-sn « avec eux »
Féminin- Pluriel
akid-nγ « avec nous »
akid-knt « avec vous »
akid-snt « avec elles »

Il prend la forme : kd, lorsqu'il se combine avec le monème interrogatif : u « Qui ? », ou min « Quoi ? » qui se réalise dans ce cas : mi?

Ex.
u-kd « avec qui? »
mi-kd « avec qui? »

γa(r) « chez, à, vers ».

Le fonctionnel est toujours suivi d'un nom en état d'annexion. La plupart des Aît Ouriaghel le prononcent sans le phonème [r] car ils ont tendance à le supprimer dans beaucoup d'unités linguistiques amazighes et arabes.

Ex.

y-usi-d γa(r) wuma-s « il est venu chez son frère »

y-usi-d γa(r) ubarkan « il est venu chez le noir »

ucc γa(r) ttisaɛ « va-t-en ailleurs/ au large »

Ce fonctionnel se combine avec :
- des pronoms personnels indépendants :
γa(r) ntta « chez lui »
- des pronoms personnels affixes :
γa(r)-k « chez toi »
- des synthèmes ou des syntagmes possessifs :
γa(r) win « chez celui-là »
γa(r) wnniynu « chez le mien »

*** ja(r) « entre/ au milieu de ».**

Ce fonctionnel peut être suivi d'un seul ou de plusieurs synthèmes nominaux (monèmes + modalité de pluriel), ou de deux monèmes singuliers coordonnés par : & « et ». Le premier nominal marque toujours l'état d'annexion par la présence de ce fonctionnel. Le second le marque par la présence du coordonnant : &. Il se réalise : ja(r) quand il se combine avec des noms, des pronoms personnels indépendants, des synthèmes et des syntagmes possessifs :

Ex.

i-zddeγ ja(r) Mmuḥ ḏ Σma(r) «il habite entre Moh et Omar »

i-zddγ ja(r) ntta ḏ nttaṯ « il habite entre lui et elle »

i-zddγ ja(r) wa ḏ win « il habite entre celui-ci et celui-là »

i-zddγ ja(r) wnniynu ḏ wnniynk « il habite entre le mien et le tien »

Le fonctionnel prend sa forme intacte : jar, lorsqu'il est directement suivi d'un monème à initiatiale vocalique. L'apparition du [r] dans ce contexte a comme fonction d'éviter le contact (rompre l'hiatus) des deux voyelles : voyelle finale [a] du fonctionnel et les voyelles des pronoms personnels affixes compléments indirects.

Masculin-Singulier
jar-ay ḏ... « entre moi et... »
jar-ak ḏ... « entre toi et... »
jar-as ḏ... « entre lui et... »
Féminin- Singulier
jar-ay ḏ... « entre moi et... »
jar-am ḏ... « entre toi et... »
jar-as ḏ... « entre elle et... »
Masculin- Pluriel
jar-anγ ḏ... « entre nous et... »
jar-akum ḏ... « entre vous et...»
jar-asn ḏ... « entre eux et... »
Féminin- Pluriel
jar-anγ ḏ... « entre nous et... »
jar-aknt ḏ...« entre vous et...»
jar-asnt ḏ... « entre elles et... »

Pour des raisons expressives, les pronoms personnels affixes indirects peuvent être suivis dans le même énonce par leurs correspondants indépendants avec qui ils s'accordent en genre et en nombre.

Ex.

jar-ay nicc ḏ uma-k « entre moi et ton frère »

jar-ak cekk ḏ Σma(r) « Entre toi et Omar »

*** Dr. Hamid SOUIFI, originaire de la tribu d'Igzennayen.**
- Docteur en Sciences du language de l'Université de Toulouse- le Mirail ou il enseigne la syntaxe.
- Attaché au Groupe de Recherches en Industrie de Langues.
Spécialiste en linguistique amazighe, notament à sa syntaxe.
Il a participé à beaucup de colloques sur la langue et la culture amazighes au Maroc et à l'étranger (Pays-Bas, France, Belgique, Espagne, Allemagne...)

**** Pour la transcription voir Tableau Tifraz (P17)**

Lettre ouverteau Président de la République du Niger Pour la libération de Monsieur Maman ABOU, directeur du journal " Le Républicain", Niamey, Niger

Monsieur le Président,

Le 5 novembre 2003 Monsieur Maman ABOU, directeur de publication de l'hebdomadaire " Le Républicain n. a été arrêté et incarcéré à la prison civile de Niamey pour avoir apporté les preuves du bien fondé de ses préoccupations concernant l'existence de la corruption dans certains cercles du pouvoir nigérien.

Avec une célérité inégalée, la «justice» de votre pays vient de le condamner de manière expéditive à 6 mois de prison ferme.

Permettez-nous, Mr le Président, d'exprimer notre très vive protestation contre cet acte arbitraire qui frappe un journaliste coupable d'avoir fait son métier et une personnalité qui a beaucoup apporté à l'éclosion du débat démocratique et à la liberté de la presse au Niger.

Notre indignation est d'autant plus grande que Maman Abou a beaucoup contribué, à travers son journal, à l'apaisement des tensions qui ont secoué votre pays dans les années 1990. Il est également connu pour son engagement permanent en faveur des droits de l'Homme et pour l'avènement d'une véritable démocratie capable de garantir toutes les libertés aux Nigériens. Son combat contre les malversations et la corruption, fait de lui un grand défenseur de l'intérêt général dans son pays. Son arrestation représente une grave régression de l'Etat de droit et risque de compromettre durablement l'existence du débat contradictoire nécessaire à l'évolution institutionnelle de votre pays.

A travers cette arrestation que rien ne justifie, le gouvernement nigérien fait la preuve de sa brutalité et de son incapacité à répondre sereinement aux exigences de transparence que requiert la gestion des affaires publiques. Cela ne manquera pas de ternir l'image de votre pays et risque de l'isoler davantage sur la scène internationale.

Par cette lettre, nous demandons la libération immédiate et sans conditions de Monsieur Maman Abou. Nous appelons les Etats démocratiques, les instances internationales, les ONG de défense des droits humains ainsi que tous les citoyens épris de justice et de liberté, à joindre leurs voix afin que Maman Abou soit libéré sans délai.

A travers l'expression de sa solidarité avec Maman Abou, la communauté internationale réaffirme son soutien à l'instauration d'un Etat de droit, respectueux du pluralisme politique et culturel au Niger.

Veuillez agréer, Monsieur le Président, l'expression de notre haute considération.

Paris, le 24/11/2003

Signature-

Lettre initiée par le Congrès Mondial Amazigh (CMA), à envoyer par la poste ou par fax à :

Mr le Président de la République du Niger, Niamey, Niger

Tel: 00 227 72 24 72 - 00 227 72 35 76

Fax: 00227733430 - 00227722673

L'influence des notables sur les partis de gauche

Dr Najib EL FARRICHA

Le mot notable, nous dit le dictionnaire Littré de langue française vient du mot latin qui signifie « être connu», ainsi on peut définir le notable en tant que figure historique, politique et sociologique, comme une personne qui a acquis dans un certain territoire une notoriété, par divers moyens, qui lui donne un pouvoir particulier et lui confère un statut privilégié. Par le biais de divers services rendus à chacun, le notable entretient une clientèle qui, si elle ne lui est pas dévouée corps et âme lui doit toujours un service. Par ces relations avec les différents pouvoirs, le notable est détenteur d'une certaine autorité sur ses concitoyens et peut largement les influencer lors des élections par exemple.

Le parfait exemple du notable est l'Alexis de Tocqueville que l'on voit apparaître dans ses souvenirs:

«La population m'avait toujours été bienveillante, mais je la retrouvai cette fois affectueuse, et jamais je ne fus plus entouré de respect que depuis que l'égalité brutale était affichée sur nos murs (…Le matin de l'élection, tous les hommes se mirent en rang deux par deux suivant l'ordre alphabétique; je voulus marcher au rang que m'assignait mon nom car je savais que dans les pays et dans les temps démocratiques, il faut se faire mettre à la tête du peuple et ne pas s'y mettre soi-même. (...) Arrivés au haut de la colline qui domine Tocqueville, on s'arrêta un moment, je sus qu'on désirait que je parlasse. Je grimpai donc sur un fossé, on fit cercle autour de moi et je dis quelques mots que la circonstance m'inspira.. Je rappelai à ces braves gens la gravité et l'importance de l'acte qu'ils allaient faire; je leur recommandai de ne point se laisser accoster ni détourner par les gens qui, à notre arrivée au bourg pourraient chercher à les tromper; mais de marcher sans se désunir et de rester ensemble, chacun à son rang, jusqu'à ce qu'on eût voté. (...)Ils crièrent qu'ainsi ils feraient et ainsi ils firent. Tous les votes furent donnés en même temps, et j'ai lieu de penser qu'ils le furent presque tous au même candidat.

Aussitôt après avoir voté moi-même, je leur dis adieu, et, montant en voiture, je partis pour Paris.

On voit ici de quelle autorité jouit l'auteur sur les tous nouveaux électeurs du village de Tocqueville en colonne vers les urnes, les emmenant vers l'inconnu qu'était le suffrage. Le notable est donc celui qui jouit d'une grande influence auprès de ces concitoyens. Ce parfait exemple fort significatif, nous laisse croire que Alexis De toqueville est encore parmi nous, et qu'il va se présenter pour les prochaines élections. Ainsi il a décrit dans le passé, le notable du présent. La notabilité c'est une forme de pouvoir ancienne qui se métamorphose, en fonction de l'air du temps, toujours favorable à son égard.

pour bien toucher le fond du sujet, deux itinéraires politiques différents me semblent nécessaires à décrire:

- Le Modèle classique: est un parcourt rural qui convenait le mieux aux notables pour qui la carrière politique commence alors par un mandat de conseiller municipal et termine par président de ce conseil. Puis vient l'âge d'une immunité parlementaire obligatoire pour sa carrière socio-politique, qui va le faire réfléchir à la couleur des partis existants sur le terrain.

-Le Modèle moderne: est un parcourt plus urbain qui intéresse certaines « élites» politiques. Par le jeu des luttes d'influence, des alliances éphémères intéressées, des magouilles et autres astuces, elles finissent par se hisser à la tête de l'appareil du Parti, ou à une place importante, avec l'arrière-pensée d'accéder à un grand poste dans le futur gouvernement, fonction tant rêvée pour améliorer sensiblement leur« confort digestif »et leur rang social. Elles commencent par le marketing (média, conférences etc.) suivi par un parachutage «parlementaire» dans l'une des circonscriptions rurales avec qui ils ont ou non des relations lointaines. Mais malheureusement l'atterrissage se termine souvent en dehors du siège parlementaire souhaité, car pour détrôner un notable

« adversaire électoral» dans une circonscription rurale, il ne faut pas seulement présenter un bon programme mais aussi imposer



sa personne face à la sienne, ainsi par le fort attachement personnel aux grands postes étatiques de ces élites, ainsi toutes les belles théories, toutes les prises de position seront et sont effectivement remplacées par ce que leurs auteurs appellent «réalités du terrain ou real-politik », mais qui, en réalité, n'est que la« politique du tube digestif», autrement dit la politique de la recherche exclusive du confort digestif, la politique des intérêts personnels et égoïstes au détriment de la démocratie, de l'intérêt général, du Bien commun. Poussera à la recherche des raccourcis les plus rapides, dont le plus connu c'est de lancer un « wanted » à la recherche des notables ruraux, afin de les amadouer pour prendre la couleur de leur parti. Les élections s'approchent, le temps presse, les partis sont nombreux, il faut être plus rapide que les autres afin d'avoir plus de notable « siège garanti» et garantir le passage aux postes du futur gouvernement.

Voilà donc opposés les deux parcours politiques types: l'un caractéristique du système des notables, l'autre plus urbain et qui domine la vie politique actuelle avec un passage obligé par la capitale, les grands salons et les grands appareils politiques.

Le notable député une fois dans le parti, cherche à envahir le comité de direction du dit parti, afin de se rapprocher des centres de décision, l'approche du congrès national du parti, l'adhérence massive au parti des électeurs dévoués corps et âme à leur notable député, le service rendu aux soi-disant élites politiques de son nouveau parti, lui permettront de passer au complet (son curriculum vitae y compris) automatiquement au bureau politique, et d'acquérir une nouvelle force politique

On observe donc que la figure du notable sur la scène politique n'a pas disparu mais s'est fortifiée et adapter en fonction des situations nouvelles crées par la« politique du tube digestif» de certaines élites politiques et autres facteurs. Ainsi ce notable fausserat-il le jeu politique démocratique en mettant au centre du parti non plus les idées, une conception du bien commun mais sa propre personne? Car tout son pouvoir du notable repose sur son réseau de connaissance, sur des amitiés, sur un système de don contre don, Cela se traduit par un véritable changement de l'identité politique du parti auquel il est attaché temporairement et auquel il lui inflige une autre idéologie et une autre politique diamétralement opposée à la celle du parti hote, ce qui explique bien entre autre l'affaiblissement du clivage droit gauche et la présence au sein des partis de gauche des parlementaires de droite, en effet, les partis politiques, pour tout structurés et centralisés qu'ils sont ne peuvent échapper à l'emprise de nouveaux notables que l'on pourrait appeler des notables d'appareil, et comme on sait le notable et démocratie sont deux termes qui s'opposent par essence, alors à toi de pleurer mon cher militant de base.

AL HOCEIMA LE 30/11/2003

تيفراز

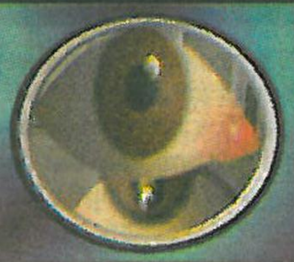
معالم الريف

No:8 decembre2003



لوحة «باتيرا» للفنان عبد الحميد اولاد حدو

العين الثالثة



متى تكبرين في عيوننا..؟

السؤال أعلاه قد يوحي للوهلة الأولى، لقارئه بخلجات عاطفية أو شطحات رومانسية... لكنه، في واقع الحال، سؤال يفيض مرارة ويتضمن خطابا موجها صوب دولتنا المغربية المشخصة في أجهزتها وممثليها محليا. هذه الدولة التي يبدو أنها تجسد المقولة الشهيرة التي تفيد أن "الدولة لا أحد يراها" إذا أخذنا بها من جهة التأويل الذي يفيد معنى الغياب فحسب. أما إن توخينا وضوحا أكبر لقلنا إن "أمطار الخير" الأخيرة(والعهدة على مذيعنا الذي سارت بذكره الركبان في هذا المجال) كانت امتحانا حقيقيا رسبت فيه دولتنا، مع الأسف، بدرجة "مشرف جدا" مع التوصية ب"الطبع".

تلكم، باختصار شديد، هي القناعة التي توثقت في ذهن المواطن المحلي وعلقت بذاكرته المنيعة جراء كارثة الفيضانات التي استفاق عليها إقليمنا أخيرا. ولعل المواطن الذي ما فتئت الدولة، بكل ما أوتيت من أجهزة، تقرع آذانه المنتبهة ب"مفاهيم" الدولة الحديثة والقوية والبانية... إلخ، تأكد خلال يوم الامتحان، المشار إليه، أن تلك المفاهيم لا تعدو كونها شعارات جوفاء تتبدد بسرعة أمام صخرة الواقع كفقاعات الصابون في الهواء تماما. لقد كان هذا الواقع محزنا حقا بالنسبة للمواطن وهو يرى سيادة دولته تستغيث به وتلتمس منه المساهمة في "التفكير" معها في هذا المصاب الجلل الذي حلّ بها سائلة إياه آش غانديرو؟

إنه لمن المناسب جدا، هنا، التذكير بأن المواطن الذي «أضرب» يوم الكارثة على قنطرة وادي غيس وأوقف حركة مرور السيارات بالكامل على طريق رئيسية لا يمكن الاستغناء عنها، لم يفعل ذلك سوى لأنه انكشف له لحظتئذ أن القوة التي كان يتمثل صورتها لدولته أمست مجرد أكذوبة...وإلا فما هو التفسير الذي سيفحمه بعدم استهتار دولته به حين أبانت عن هشاشتها و شللها المخزي إزاء الطبيعة الغاضبة يومئذ، وكذبت أخبارها لما تجاسرت في التهام المواطنين وممتلكاتهم ..؟ (لنتأمل، على سبيل المثال لا الحصر، حالة ذلك المواطن - من أربعاء تاوريرت - الذي أفنى زهرة شبابه ببلاد الغربة مدخرا عرق جبينه، ثم يعود إلى موطنه الأصلي للاستثمار وتنمية البلاد فتجرف السيول كل ما ملك وبنى من مزارع...ولا حياة لمن تنادي...).

أما زلنا بحاجة، حقا، إلى إنباء دولتنا بأن مواطنيها باتوا يدركون جيدا كيف أن قوة الدول اليوم لاتستمد من قوة "القوة" التي تتعلق فيها دولتنا حين يلذ لها التكشير عن أنيابها، وإنما من "أشياء" مغايرة تماما كتلك التي كانوا ينتظرون إظهارها يوم وقوع الواقعة؟

إن المواطن المحلي لتساوره الغرابة الممزوجة بالسخرية وهو يرى "الدولة"، مثلا، تطوق شارع عبد الكريم الخطابي وسائر مداخله ومخارجه الأمامية والخلفية بجيش عرمرم من المشاة والراكبين والواقفين الرامقين ...وعندما يتعلق الأمر باحتجاج سلمي مشروع لشباب معطل يصرخ مطالبا بحقه المقدس في الشغل(والذي ينبغي أن تضمنه له دولته بعد مشوار مديد من التحصيل). في الوقت الذي تقف فيه مشدوهة لا تحرك ساكنا أمام "تعنتر الطبيعة". والحال أن مفارقات من هذه الشاكلة تبعث المواطن على الشعور بالخيبة والخجل ويخس الذات والتفكير في الهروب من ذاته في اتجاه...السديم ربما.

إذن، فالدولة لن تزهر وتكبر في عيون مواطنيها لما تغرقهم بصورها المتلفزة التي تظهر مشاهد بئيسة لفتية كسا السواد وجوههم والوهن عظمهم ،مغلوبين على أمرهم ولا حول لهم ولا قوة... ولا حين تتمادى في سياسة "تشويك" العصا وتغليظها. بل فقط حينما يقتنعون بأنها ماضية فعلا وبحزم في قص أذناب المفسدين المجرمين المختلسين للملك العام.. وقادرة بالفعل على تأدية وظائفها وواجباتها في الحرص على حماية متاعهم وأرواحهم الغالية... وساهرة بالفعل وليس ب"القوة" على أمنهم وسلامتهم وتوفير كل الوسائل والشروط الضامنة لذلك.

أخيرا، نتمنى لدولتنا ألا يكون قد فاتها الاتعاظ بالمثل الإنجليزي السائر "قد تستطيع أن تقود الفرس إلى النهر، لكنك لا تستطيع أن ترغمها على الشرب".

سعيد الغزواني

قصائد أقل دفئا

(1) ليل الأعمى

فِي لَيْلِ الأَعْمَى تُولَدُ
زَنْبَقَةٌ مِنْ مِيَاهِ الْقَلْبِ الْمُضِيئَةِ
تَرْنُو

إِلَى جِهَةٍ
مُطْفَأَةْ..

.

تقول الّتي ألهبته
بنحل الشّفاه..
«بأهٍ
رأني حبيبي.../
رأى
مرْفأه».
كَانَ عبد السلام حزينا
يؤلف الحانه المستطيلة،
يفرح .../
يهرب من آخرين لهم في السّماء
موائد بكماء
...
...
يركب
قبره/قاربه
ثم يعوي
على عصره المتردي
يقيء
الرئةْ...
صار
للحبِّ
جُرْحٌ كَمَرْجٍ
مِنَ الْصَّعْبِ نِسْيَانُ أَزْهَارِهِ الْمُوبِئَةْ!
يقولون.../
كَانَتْ جُفُونُ الْمُغَنِّي نَوَارِسَ
تَسْبَحُ فِي دَمْعَةِ الْقَلْبِ
نَاظِرَةً لِلنُّجُومِ
تَشُقُّ مَجَازَ الْحزَانَى،
...
...
...
الى قَعْرِ يَحْرٍ
بلا
تدفئةْ...!!
دائما سَيُغَنِي،
لأن الغناء يحب أَمَاكِنَهُ الوثنية
ليس يحب الفئه!

(2) رؤياه التي لا تنام

رَأَيْتُ الْسَّنَاجِبَ تَقْفِزُ مِنْ يَافِعِ الْشَّوْقِ،
أَيْقَظْتُ شَمْسِي
فأَوْقَدَنِي لَيْلُهَا..

.

...
من تُرى
يتعَقّبُ ظل الفراشة
نارا على إثْرِ نجْمٍ
له نعلُها..!

(3) دماء توبخ عين الماء

مَا ثَمَّ وَرْدٌ بأَجْزَعَ مِنْ دَمْعَةٍ
أَوْ لَوَامِعَ تَغْفُو

بِعَيْنَيْنِ
نَادِمَتَيْنِ
عَلَى غَرَقٍ فِي الْبَعِيدِ ...
أَنَا الْبَحْرُ، وَالْمَاءُ لَوْنِي النّديمُ،
هُنَا أَتَسَلَّى بِكَأْسِ انبِجَاسِي
وَلِي تَحْتَ كُلِّ حِجَابٍ
دِمَائِي الْهَرِيقَهْ..

مَا ثَمَّ شَيْءٌ يُبَاغِتُ ظِلاًّ
أُسَمّي بِهِ وَلَهَا
حَلَّ بِي../
بَعْدَ هَذَا الْنَّهَارِ سَيُغْرِقُنِي الْعَرْفُ والشّوْقُ
حِينَ وَحِيدًا
بِتَامِّ الهدوء../
أَكُونُ..

.....

أقول:كذلك
نار المياه تَقحُّ
وتصْمُتُ، فينا يموت الشباب،
دقيقةْ!
أيها الموج،نِلْتَ .../وها أنت،
لست
سوى إسْمٍ
تَعَتَّقَ في موته
أَنْبِيَاءُ الْحَقِيقَةْ!

منعم الأزرق